الأربَعُون العَلْياء

في أحاديثِ المِعراجِ والإسراء

ومعه فَوائِدُ جَلِيلةٌ وتَعلِيقاتٌ نَفِيسةٌ

في إيضاحِ المَعنَى وبَيانِ الغَرِيبِ وحَلِّ المُشْكِلِ

للشيخ جميل بن محمد علي حليم

دكتور محاضِر في العقيدة والفِرَق

الطبعة الأولى

١٤٤٢ هـ - ٢٠٢١ م



بيروت - لبنان

العنوان: المزرعة، بربور، شارع ابن خلدون،
بناية الإخلاص
تلفون وفاكس: ٣١١ ٣٠٤(١ ٩٦١)٠٠
صندوق بريد: ٥٢٨٣ - ١٤ بيروت - لبنان



يقولُ الإمامُ المُزَنِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

«قرأتُ كتابَ الرسالةِ على الشَّافعيّ ثمانين مرة، فَمَا مِن مرةٍ إلَّا وكان يقفُ عَلَى خطأ، فقالَ الشَّافعيُّ: هِيه، أَبَى اللهُ أن يكونَ كِتابٌ صحيحٌ غيرَ كِتَابِهِ»

أَخِي القارئُ الكريمُ، مَا كَان مِن خطإٍ في كتابِنا فَأَرْشِدنا إليهِ، فَإِنَّنا لَا نَدَّعي العِصمةَ، ونحنُ لكَ مِن الشَّاكرِين.

قَالَ شَيخُنَا الحافِظُ الهَرَرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

«الَّذِي يَعْتَمِدُ وَحْدَهُ عَلَى مُطَالَعَةِ الكُتُبِ يَطْلُعُ ضَالًّا مُضِلًّا»

فلا بُدَّ أخِي القارئُ مِن تَلَقِّي العِلمِ مِن أفواهِ الأثباتِ الثِّقاتِ مِنَ أهلِ العِلمِ

المُقدّمة

الحمدُ لله ربّ العالمِين حمدًا كثيرًا، والصلاة والسلام على سيّدنا محمدٍ المبعوث بشيرًا ونذِيرًا، وأشهد أنْ لا إله إلّا الله الملِكُ الحَقُّ المُبِين، وأشهَدُ أنَّ محمدًّا عبدُه ورسولُه إلى العالَمِينَ.

وبعدُ، فقد قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾، فأخبرَنا سبحانه وتعالى بما أكرَم به نَبِيَّهُ محمّدًا ﷺ مِن الإسراء به ليلًا من المسجِد الحرامِ بمكّة إلى المسجِد الأقصَى المبارَك ببيتِ المَقدِس، ثُمّ عُرِجَ به ﷺ في اللَّيلة ذاتِها إلى السّماواتِ ليُرِيَه اللهُ عزّ وجلّ مِن عجِيبِ المصنوعاتِ وباهِرِ الآياتِ، وقد صرَّح عزّ وجلَّ بذلك في سُورةِ النَّجمِ، فكانَ مَسرى الرّسولِ ﷺ مع جِبريلَ عليهِ السّلامُ مِن مكّة المكرّمةِ بجسَدِه الشّريفِ ورُوحِه الطّاهِرة ﷺ يقظَة لا في المَنامِ، وعمُرُه إذْ ذاك إحدَى وخمسُون سنةً وثمانيةُ أشهُرٍ وثلاثةَ عشَر يومًا أي قبل الهِجرةِ المبارَكة بعامٍ، وذلك ليلةَ سبعَ عشرةَ مِن ربيعٍ الأوّلِ الأعطَر الأنوَر الأزهَر، وقيل كان في ليلةِ سبعٍ وعشرينَ مِن شهرِ رجَبٍ.

وقَد رَوَى قِصّة الإسراءِ والمعراجِ طائفةٌ كثيرةٌ مِن الصّحابةِ الكِرامِ، ووصلَتْنا عنهُم مِن طريقِ جماعاتٍ مِن التّابعينَ الثِّقاتِ مِن طُرُقٍ صحيحةٍ وحسَنةٍ.

فاختَرتُ مُستعِينًا باللهِ أنْ أجمَع مِن الكُتبِ الحديثيّة المشهورةِ نحوًا مِن أربعِينَ حديثًا مرفوعًا وموقوفًا مِمّا تلقَّيتُه سماعًا وإجازةً خاصّةً وعامّةً بأسانِيدَ عاليةٍ بفَضلِ اللهِ عزَّ وجلَّ، وأَثْرَيتُ هذا الجزءَ اللَّطِيفَ بتعليقاتٍ مُهِمّة في العقِيدة وتفسيرِ القرءانِ والأحكامِ وشرحِ غريبِ الألفاظِ وحَلِّ المُشكِل، وأسمَيتُه «**الأربعينَ العَلْياءَ في أحاديثِ المِعراجِ والإسراءِ**».

وأسألُ اللهَ العَظِيمَ ربَّ العَرشِ الكَرِيمِ أنْ يَجعَل هذا الجُزءَ نافِعًا لي ولِمَن يَشتغِلُ بهِ، وأنْ يرزُقَنا الإخلاصَ في الطّاعة ما حَيِينا، وأنْ يَتوفَّانا على كامِل الإيمانِ، وحسبُنا اللهُ ونِعمَ الوكيلُ.

التَّوطِئَة

المِيزان في بَيان عَقِيدَة أهلِ الإيمان

الحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلى الله وسلَّم وشرَّف وكرَّم على سيِّدنا محمَّد، الحبيبِ المحبوبِ، العظيمِ الجاهِ، العالي القَدرِ طه الأمينِ، وإمامِ المرسلينَ وقائدِ الغُرِّ المحَجَّلِينَ، وعلى ذُرِّيَّته وأهلِ بَيتِه المَيامِين المكرَّمين، وعلى زوجاتِه أمَّهات المؤمنِين البارّاتِ التَّقِيَّات النَّقِيَّات الطاهراتِ الصَّفِيَّات، وصحابَتِه الطيِّبين الطَّاهِرين، ومَن تَبِعَهُم بإحسانٍ إلى يَومِ الدِّين.

أما بعدُ، فهذه عقيدةُ كلّ الأمّة الإسلاميةِ سلَفًا وخلفًا، وهي المرجع الذي تُعْرض عليه عقائدُ الناس، فمن خالفها أو كذبها لا يكونُ من المسلمينَ، وهي ميزان الحقِّ الذي يَكْشِفُ زيْفَ الباطلِ وزيغَهُ، فكان لا بُدَّ من هذا البيان المهمِّ لخصوصِ الغَرضِ وعمومِ النَّفْعِ؛ وعليه:

اعلم أرشدَنا اللهُ وإياكَ أنهُ يجبُ على كلِّ مكلفٍ أن يعلمَ أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ واحدٌ في ملكِهِ، خلقَ العالمَ بأسرِهِ العلويَّ والسفليَّ والعرشَ والكرسيَّ، والسمٰواتِ والأرضَ وما فيهمَا وما بينهُمَا. جميعُ الخلائِقِ مقهورونَ بقدرتِهِ، لا تتحرَكُ ذرةٌ إلا بإذنِهِ، ليس معهُ مُدَبِّرٌ في الخلقِ ولا شريكٌ في الملكِ، حي قيومٌ لا تأخذُهُ سِنَةٌ ولا نومٌ، عالمُ الغيبِ

والشهادةِ لا يخفى عليه شيء في الأرضِ ولا في السماءِ، يعلمُ ما في البرّ والبحرِ، وما تسقطُ من ورقةٍ إلا يعلمُهَا، ولا حبةٍ في ظلماتِ الأرضِ ولا رطبٍ ولا يابسٍ إلا في كتابٍ مبينٍ.

أحاطَ بكلِ شيء علمًا وأحصَى كلّ شيءٍ عددًا، فعالٌ لما يريدُ، قادرٌ على ما يشاءُ، له الملكُ وله الغِنى، وله العِزُّ والبقاءُ، وله الحكمُ والقضاءُ، وله الأسماءُ الحسنى، لا دافعَ لما قضَى، ولا مانعَ لما أعطَى، يَفْعَلُ في ملكِهِ ما يريدُ، ويَحْكُمُ في خَلْقِهِ بما يشاءُ، لا يَرجُو ثوابًا ولا يخافُ عقابًا، ليس عليهِ حقٌ يلزَمُهُ ولا عليهِ حُكْمٌ، وكلُّ نِعْمةٍ منْهُ فَضْلٌ وكل نِقْمةٍ منه عَدْلٌ، لا يُسألُ عمّا يَفْعَلُ وهم يُسْألونَ. مَوجودٌ قبلَ الخَلْقِ، ليسَ لهُ قبلٌ ولا بعدٌ، ولا فوقٌ ولا تحتٌ، ولا يمينٌ ولا شمالٌ، ولا أمامٌ ولا خلفٌ، ولا كلٌّ ولا بعضٌ، ولا يقالُ متَى كانَ ولا أينَ كانَ ولا كيفَ، كانَ ولا مكانَ، كوَّنَ الأكوانَ، ودبَّرَ الزمانَ، لا يتقَيَّدُ بالزمانِ، ولا يتخصَّصُ بالمكانِ، ولا يشغَلُهُ شأْنٌ عن شأنٍ، ولا يلحقُهُ وهمٌ ولا يكتنِفُهُ عقلٌ، ولا يتخصَّصُ بالذّهنِ، ولا يتمثَّلُ في النفسِ، ولا يُتَصَورُ في الوهمِ، ولا يتكيفُ في العقلِ، لا تَلْحَقُهُ الأوهامُ والأفكارُ، ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾.

تنزَّه ربّي عن الجلوسِ والقعودِ والاستقرارِ والمحاذاةِ، الرّحمـٰنُ على العرشِ استوى استواءً منزهًا عن المماسةِ والاعوجاجِ، خلقَ العرشَ

إظهارًا لقدرتِهِ ولم يتَّخِذه مكانًا لذاتِهِ، ومن اعتقدَ أنَّ اللهَ جالسٌ على العرشِ فهو كافرٌ، الرّحمـٰنُ على العرشِ استوى كما أخبرَ لا كما يخطرُ للبشرِ، فهو قاهرٌ للعرشِ مُتَصرِّفٌ فيه كيف يشاءُ، تنزَّهَ وتقدَّسَ ربّي عن الحركةِ والسكونِ، وعن الاتصالِ والانفصالِ والقُربِ والبُعدِ بالحِسّ والمسافةِ، وعن التَّحوُّلِ والزّوالِ والانتقالِ، جلَّ ربّي لا تُحيطُ به الأَوهامُ ولا الظُّنونُ ولا الأفهامُ، لا فِكرةَ في الرَّبِّ، خلق الخلق بقُدرته، وأحكمَهم بعِلْمه، وخَصَّهم بمشيئته، ودَبَّرَهم بحِكمَته، لم يكن له في خَلْقِهم مُعِين، ولا في تَدبِيرهم مُشِير ولا ظَهِير.

لا يلزمه (لِمَ)، ولا يُجاوِرُه (أين)، ولا يُلاصِقُه (حَيث)، ولا يَحُلُّه (ما)، ولا يَعُدُّه (كَم)، ولا يَحصُره (متَى)، ولا يُحِيطُ به (كَيف)، ولا يَنالُه (أيُّ)، ولا يُظِلُّه (فَوق) ولا يُقِلُّه (تَحت)، ولا يُقابِلُه (حَدّ)، ولا يُزاحِمُه (عِند)، ولا يأخُذه (خَلْف)، ولا يَحُدُّه (أمام)، ولم يَتقدَّمُه (قَبْل)، ولم يَفُتْه (بَعد)، ولم يَجْمَعْه (كُلّ)، ولم يُوجِدْه (كان)، ولم يَفْقِدْه (لَيس).

لا إلـٰه إلا هو، تقدَّسَ عن كلِّ صفاتِ المخلوقينَ وسِمَاتِ المحدَثينَ، لا يَمَسُّ ولا يُمَسُّ ولا يُحَسُّ ولا يُجَسُّ، لا يُعرَفُ بالحواسّ ولا يُقاسُ بالناس، نُوَحِّدُه ولا نُبَعِّضُه، ليس جسمًا ولا يتَّصِفُ بصفاتِ الأجسام، فالمجسِّم كافر بالإجماع وإن قال: «الله جسمٌ لا

كالأجسام» وإن صام وصلى صورةً، فالله ليس شبحًا، وليس شخصًا، وليس جوهرًا، وليس عَرَضًا، لا تَحُلُّ فيه الأعراضُ، ليس مؤلَّفًا ولا مُرَكَّبًا، ليس بذي أبعاضٍ ولا أجزاءٍ، ليس ضوءًا وليس ظلامًا، ليس ماءً وليس غَيمًا وليس هواءً وليس نارًا، وليس روحًا ولا له روحٌ، لا اجتماعَ له ولا افتراقَ.

لا تجري عليه الآفاتُ ولا تأخذُه السِّنَاتُ، منزّهٌ عن الطُّولِ والعَرْضِ والعُمْقِ والسَّمْكِ والتركيبِ والتأليفِ والألوانِ، لا يَحُلُّ فيه شيء، ولا يَنْحَلُّ منه شيء، ولا يَحُلُّ هو في شيء، لأنه ليس كمثله شيء، فمَن زعَم أنّ الله في شيء أو مِن شيء أو على شيء فقد أشْرَك، إذ لو كان في شيء لكان محصورًا، ولو كان مِن شيء لكان مُحدَثًا أي مخلوقًا، ولو كان على شيء لكان محمولًا، وهو معكم بعِلمِه أينما كنتم لا تخفى عليه خافية، وهو أعلم بكم منكم، وليس كالهواء مخالطًا لكم.

وكلَّم الله موسى تكليمًا، وكلامُه كلامٌ واحدٌ لا يتبعض ولا يتعدد ليس حرفًا ولا صوتًا ولا لغةً، ليس مُبتَدَأً ولا مُختَتَمًا، ولا يتخلله انقطاع، أزليٌّ أبديٌّ ليس ككلام المخلوقين، فهو ليس بفم ولا لسان ولا شفاه ولا مخارج حروف ولا انسلال هواء ولا اصطكاك أجرام. كلامُه صفةٌ من صفاتِه، وصفاتُه أزليةٌ أبديةٌ كذاتِه، وصفاته لا تتغيَّر

لأنَّ التغيُّرَ أكبرُ علاماتِ الحدوثِ، وحدوثُ الصفةِ يستلزمُ حدوثَ الذاتِ، والله منزَّهٌ عن كل ذلك، مهما تصورت ببالك فالله لا يشبه ذلك، فصونوا عقائدَكم من التَّمَسُّكِ بظاهِرِ ما تشابَه من الكتابِ والسنَّةِ فإنَّ ذلك من أصولِ الكفر، ﴿فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾، ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾، ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾، ومن زعم أن إلـٰهنا محدودٌ فقد جَهِلَ الخالقَ المعبودَ، فالله تعالى ليس بقدر العرش ولا أوسع منه ولا أصغر، ولا تصِحُّ العبادة إلا بعد معرفة المعبود، وتعالى ربّنا عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات، ولا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات، ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد خرج من الإسلام وكفَر.

﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ﴾، ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾، ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا﴾، ما شاء الله كان وما لم يشأْ لم يكن، وكلّ ما دخل في الوجود من أجسامٍ وأجرامٍ وأعمالٍ وحركاتٍ وسكناتٍ ونوايا وخواطر وحياة وموت وصحة ومَرَض ولذّة وألم وفَرَح وحزن وانزعاج وانبساط وحرارة وبُرودة ولُيونة وخشونة وحلاوة ومرارة وإيمانٍ وكفر وطاعة ومعصية وفوز وخسران وتوفيق وخذلان وتحركات وسكنات الإنس والجن والملائكة والبهائم وقطرات المياه والبحار والأنهار والآبار وأوراق

الشجر وحبات الرمال والحصى في السهول والجبال والقفار فهو بخلق الله، بتقديره وعلمه الأزلي، فالإنس والجن والملائكة والبهائم لا يخلقون شيئًا من أعمالهم، وهم وأعمالهم خَلْق لله، ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾، ومن كذَّبَ بالقدر فقد كفر.

ونشهد أن سَيِّدَنا ونبيَّنا وعظيمنا وقائدَنا وقُرَّة أعينِنا وغوثنا ووسيلتنا ومعلمنا وهادينا ومرشدنا وشفيعنا محمَّدًا عبدُه ورسولُه، وصفيُّه وحبيبُه وخليلُه، مَن أرسَلَه اللهُ رحمةً للعالمين، جاءنا بدين الإسلام ككُلِّ الأنبياء والمرسلين، هاديًا ومُبَشِّرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه قمرًا وهَّاجًا وسِراجًا مُنيرًا، فبلَّغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حقّ جهاده حتى أتاه اليقين، فعَلَّمَ وأرشدَ ونصحَ وهدى إلى طريق الحقِّ والجنَّة، ﷺ وعلى كلِّ رسولٍ أرسَلَه، ورضي الله عن ساداتنا وأئمتنا وقدوتنا وملاذنا أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر العشرة المبشرين بالجنة الأتقياء البررة وعن أمهات المؤمنين زوجات النبي الطاهرات النقيات المبرَّآت، وعن أهل البيت الأصفياء الأجلاء وعن سائر الأولياء وعباد الله الصالحين.

ولله الحمدُ والفَضلُ والمِنَّةُ أنْ هدانا لهذا الحقّ الّذي عليه الأشاعرة والماتريدية وكلُّ الأمّة الإسلامية، والحمدُ لله ربّ العالمين.

مُقدِّمةٌ في عِلمِ الحديثِ الشَّرِيفِ وإسْنادِه

أهَمِّيّةُ الإسنادِ

إنّ مِمّا لا شَكّ فيه أنّ الإسنادَ مِن الأُمورِ المُهِمّة في تَوثِيقِ الأخبارِ، فكَيفَ بِهِ إذا كانَ ذلكَ في الإخبارِ عن رسولِ الله ﷺ فلَأَنْ يُؤْخَذَ ذلك بالسَّنَد أولَى وأهَمُّ.

والإسنادُ في اللُّغة هو رَفعُ الحديثِ إلى قائِلِه، ويجوزُ أنْ يَكونَ منقولًا مِن قَولِهِم: "فُلانٌ سَنَدٌ" أي مُعتَمَدٌ، فإنّ الحُفّاظَ يَعتَمِدُونَ في صِحّةِ الحديثِ على الإخبارِ عَن طَريقِهِ، ويُطلَقُ السَّنَد عِندَ أهلِ الحديثِ علَى رِجالِ السَّنَد أيضًا.

ثُمّ إنّ الإسنادَ مِن خَصائِصِ هذه الأُمّةِ وسُنّةٌ مِن السُّنَن المُؤكّدةِ، ولذَلِك قال عَبدُ الله ابنُ المُبارَك رضي الله عنه: "الإسنادُ مِن الدِّينِ، ولَولا الإسنادُ لَقالَ مَن شاءَ ما شاءَ" اهـ. وقال أبو عَبدِ الله الحاكِمُ: "فلَولا الإسنادُ وطَلَبُ هذه الطّائِفَةِ له وكَثرةُ مُواظَبَتِهم على حِفْظِه لدَرَسَ مَنارُ الإسلامِ، ولَتَمَكَّنَ أهلُ الإلحادِ والبِدَعِ فيه بِوَضعِ الأحادِيثِ وقَلْبِ الأسانيدِ، فإنَّ الأخبارَ إذا تَعَرَّتْ عَن وُجودِ الأسانيدِ فيها كانَتْ بَتْرًا" اهـ

وُحكِي أنّ عُتبةَ بنَ أبي حَكِيمٍ كان عند إسحاق بنِ أبي فَرْوةَ وعِندَهُ الزُّهرِيُّ، فجَعَل ابنُ أبي فَرْوَةَ يَقُولُ: قال رسولُ الله ﷺ، قال رسولُ الله ﷺ، فقال له الزُّهْرِيُّ: «يا ابنَ أَبِي فَرْوَةَ لا تُسنِدُ حَدِيثَكَ؟! تُحَدِّثُنا بِأَحادِيثَ لَيسَ لَهَا خُطُمٌ ولا أَزِمّةٌ».

عُلُوُّ الإسنادِ وطَلَبُهُ

ثُمّ إنَّ الإسنادَ العالِيَ أَولَى مِن النّازِل لأنَّ العُلُوّ يُبْعِدُ الإسنادَ مِنَ الخَلَل، ولأنّ قُربَ الإسنادِ قُربةٌ إلى اللهِ عزَّ وجَلَّ ولذلك استُحِبّت الرِّحلة فيهِ، وقال أحمدُ بنُ حَنبلٍ: "طَلَبُ الإسنادِ العالِي سُنّةٌ عَمَّنْ سَلَف" اهـ.

نَعَم إذا كانَ في الإسنادِ النّازِلِ مَزِيّةٌ لا تُوجَدُ في العالِي كَأَنْ يَكُونَ رِجالُه أوثَقَ مِن رِجالِه أو أحفَظَ أو أفْقَهَ أو كان الاتِّصالُ فيه أظهَرَ فإنّ النّازِلَ حينئذٍ أَولَى.

ورُوِي عَن عَطاءِ بنِ أبي رَباحٍ قال: خَرَجَ أبو أيّوبَ إِلَى عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ يَسألُهُ عَنْ حَدِيثٍ سَمِعَهُ مِنْ رَسولِ اللهِ ﷺ ولَمْ يَبْقَ أحَدٌ سَمِعَهُ مِنْ رَسولِ اللهِ ﷺ غَيْرُهُ وغَيْرُ عُقْبَةَ، فلَمّا قَدِمَ إلَى مَنزِلِ مَسْلَمَةَ بنِ مُخَلَّدٍ الأنْصارِيّ وهو أمِيرُ مِصْرَ فأخْبَرَهُ فعَجَّلَ عَلَيهِ، فخَرَجَ إلَيهِ فعانَقَهُ ثُمَّ

قَالَ لَهُ: مَا جَاءَ بِكَ يَا أَبَا أَيّوبَ؟ فقَالَ: حَدِيثٌ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسولِ اللهِ ﷺ لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ سَمِعَهُ مِنْ رَسولِ اللهِ ﷺ غَيْرِي وغَيْرُ عُقْبَةَ فابْعَثْ مَنْ يَدُلُّنِي عَلَى مَنْزِلِهِ، قَالَ: فبَعَثَ مَعَهُ مَنْ يَدُلُّهُ عَلَى مَنزِلِ عُقْبَةَ، فأُخْبِرَ عُقْبَةُ فعَجَّلَ فخَرَجَ إِلَيهِ فعَانَقَهُ، فقَالَ: ما جَاءَ بِكَ يَا أَبَا أَيّوبَ؟ فقَالَ: حَدِيثٌ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسولِ اللهِ ﷺ لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ سَمِعَهُ مِنْ رَسولِ اللهِ ﷺ غَيْرِي وغَيْرُكَ فِي سَتْرِ الْمُؤْمِنِ، قَالَ عُقْبَةُ: نَعَمْ سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ ﷺ يَقولُ: «**مَنْ سَتَرَ مُؤْمِنًا فِي الدُّنْيَا عَلَى خَزْيَةٍ سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»، فَقَالَ لَهُ أبو أَيّوبَ: صَدَقْتَ، ثُمَّ انْصَرَفَ أبو أَيّوبَ إِلَى رَاحِلَتِهِ فَرَكِبَهَا رَاجِعًا إِلَى الْمَدِينَةِ فَمَا أَدْرَكَتْهُ جَائِزَةُ مَسْلَمَةَ بْنِ مَخْلَدٍ إِلَّا بِعَرِيشِ مِصْرَ.

وِممّا استَدَلَّ بهِ أبو عبدِ اللهِ الحاكِمُ على استِحبابِ عُلوّ الإسنادِ ما قَالَهُ فِي «مَعرِفةِ عُلومِ الحديثِ» ونصُّه: "حَدَّثَنَا أبو العَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقوبَ ثنا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ الصَّغَانِيُّ ثنا أبو النَّضْرِ ثنا سُلَيْمَانُ بْنُ المُغِيرَةِ عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: كُنَّا نُهِينَا أَنْ نَسأَلَ رَسولَ اللهِ ﷺ عَنْ شَيءٍ فَكَانَ يُعْجِبُنَا أَنْ يَأْتِيَهُ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ البَادِيَةِ فَيَسأَلَهُ وَنَحْنُ نَسْمَعُ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَتَانَا رَسولُكَ فَزَعَمَ أَنَّكَ تَزْعُمُ أَنَّ اللهَ أَرْسَلَكَ قَالَ: «**صَدَقَ**»، قَالَ: فَمَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ؟ قَالَ: «**اللهُ**»، قَالَ: فَمَنْ خَلَقَ الأَرْضَ؟ قَالَ: «**اللهُ**»، قَالَ: فَمَنْ نَصَبَ هَذِهِ الجِبَالَ؟ قَالَ: «**اللهُ**»،

قَالَ: فَمَنْ جَعَلَ فِيهَا هَذِهِ المَنَافِعَ؟ قَالَ: «**اللهُ**»، قَالَ: فَبِالَّذِي خَلَقَ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَنَصَبَ الجِبَالَ وَجَعَلَ فِيهَا هَذِهِ المَنَافِعَ ءَاللَّهُ أَرْسَلَكَ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»، قَالَ: وَزَعَمَ رَسولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِنَا وَلَيْلَتِنَا، قَالَ: «**صَدَقَ**»، قَالَ: فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ ءَاللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»، قَالَ: وَزَعَمَ رَسولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا صَدَقَةً فِي أَمْوَالِنَا، قَالَ: «**صَدَقَ**»، قَالَ: فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ ءَاللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»، قَالَ: وَزَعَمَ رَسولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا صَوْمَ شَهْرٍ فِي سَنَتِنَا، قَالَ: «**صَدَقَ**»، قَالَ: فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ ءَاللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»، قَالَ: وَزَعَمَ رَسولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا حَجَّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، قَالَ: «**صَدَقَ**»، قَالَ: فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ ءَاللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»، قَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ لا أَزِيدُ عَلَيْهِنَّ وَلَا أَنْقُصُ مِنْهُنَّ، فَلَمَّا مَضَى قَالَ: «**لَئِنْ صَدَقَ لَيَدْخُلَنَّ الجَنَّةَ**».

وهذا حدِيثٌ مُخَرَّجٌ في المُسنَدِ الصّحِيحِ لمِسُلِمٍ وَفِيه دَلِيلٌ على إجازةِ طَلَبِ المَرءِ العُلُوَّ مِن الإسناد وتَركِ الاقتِصارِ على النُّزُولِ فيه وإنْ كانَ سَماعُه عَنِ الثِّقة، إذِ لَمّا جاءَه رسولُ رَسولِ الله ﷺ فأخبَرَهُ بما فَرَضَ اللهُ علَيهِم لم يُقْنِعْهُ ذَلِك حتّى رَحَل بِنَفْسِه إلى رَسُولِ الله ﷺ وسَمِعَ مِنهُ ما بَلَّغَهُ الرَّسولُ عنه، ولو كان طلَبُ العُلُوِّ في الإسنادِ غيرَ مُستَحَبٍّ

لأَنكَرَ عليه المصطَفى ﷺ سُؤالَه إيّاهُ عَمّا أخبَرَهُ رَسُولُه عَنهُ ولأَمَرَهُ بالاقتصارِ على ما أخبَرَهُ الرَّسُولُ عَنهُ" اهـ. كلامُ الحاكِم.

طُرق التَّلَقّي والرّوايةِ

١) **السّماعُ**: أي سَماعُ لَفظِ الشّيخِ سَواءٌ أَحَدَّثَ مِن كتابِه أو مِن حِفظِه بإملاءٍ أو بِغَيرِ إملاءٍ، وهو أرفَعُ الأقسامِ وأعلاها عِندَ الجُمهور.

٢) **العَرْضُ أو القِراءةُ على الشّيخِ**: بِمعنَى أنّ القارِئَ يَعرِضُ على الشّيخ ذلك سواءٌ قرأَه على الشّيخِ مِن كتابِه أو سَمِعَهُ بِقراءةِ غَيرِهِ مِن كتابٍ أو مِن حِفظِه أيضًا، وسواءٌ كان الشيخُ حافِظًا لِمَا عُرِضَ عليهِ أو لا، وسواءٌ أَمْسَكَ الشّيخُ أَصلَهُ بِنَفسِه أوْ لا.

٣) **الإجازةُ**: ومِنها أَن يَجيزَ العَالِمُ طالِبًا بكِتابٍ مثلًا فيُعَيّنُ المُجازَ له والمُجازَ بِه فيقولُ: أجَزْتُ لكَ أنْ تَروِيَ عَنّي كِتابَ كَذا، ورُوِي أنّ القاضيَ عياضًا حَكَى الاتّفاقَ على جواز هذا النّوعِ، ودُونَ هذا أنْ يُجِيزَ الشّيخُ الطّالِبَ بِجَمِيعِ مَسمُوعاتِهِ مِن غَيرِ تَعيينٍ.

٤) **المُناوَلَةُ**: وهي إِعطاءُ الشّيخِ الطّالِبَ شيئًا مِن مَروِيّاته معَ إجازَتِه لَهُ بِه صَرِيحًا أو كِنايةً.

٥) **المكاتَبَةُ**: وهي أنْ يَكتُبَ الشّيخُ شيئًا مِن حَدِيثِه بِخَطِّه أو يَأمُرَ غَيرَه لِيَكتُبَ عنه بإِذْنِه سَواءٌ كان غائبًا عنه أو حاضِرًا في بلَده.

٦) **الإعلام**: وهو إعلامُ الشّيخِ الطّالِبَ لفظًا بشيءٍ مِن مَرْوِيِّه مِن غَيرِ إذْنٍ لَهُ في رِوايَتِه عَنهُ وذلك نحو أن يَقُولَ الشّيخُ: "هذا سَمَاعِي على فُلانٍ" ولا يَأمُرُه برِوايَتِه عنه ولا بالنَّقلِ عنه ولا يُناوِلُه ولا يُخْبِرُه إلا بِمُجَرَّدِ الإعلامِ.

٧) **الوَصِيّة**: وهي أنْ يُوصِي الشّيخُ عِندَ مَوتِه أو سَفَرِه بِكتابٍ يَروِيهِ.

٨) **الوِجادة**: وهي أنْ يُوقَفَ على أحاديثَ بِخَطِّ رَاوِيها لا يَرْوِيها الواجِدُ عَنْهُ فلَهُ أنْ يَقُولَ: "وَجَدتُ أو قَرَأتُ بِخَطّ فُلانٍ أو في كِتابِه بِخَطِّه".

خُطبةُ الأربَعِينَ العَلياءِ

أقولُ مُستعِينًا باللهِ تعالَى ومتوكِّلًا علَيه وطالبًا التّوفيقَ منه والسّدادَ وأنْ يرزُقَني الإخلاصَ:

قد انتقَيتُ نحوًا مِن أربعِين حديثًا مِن الكُتبِ الحديثيّة المشهورة، وكنتُ قد حصَّلتُ تلكَ الكتُب تلقِّيًا ما بين قراءةٍ وسماعٍ مع الإجازة الخاصّة والعامّة بها إلّا مُسندَ أحمدَ فلَم أُتِمَّ سَماعَه لكنّي سَمِعتُ الكثيرَ منه مع الإجازةِ الخاصّة والعامّةِ به، أمّا الحديثُ الّذي انتقَيتُه مِنه فهو مِمّا تلقَّيتُه سَماعًا مع الإجازةِ الخاصّة والعامّةِ، ولله الحمَدُ.

وهذا أوانُ الشُّروعِ بِسَردِ الأحاديثِ العَلياءِ المُنتقاةِ في المِعراجِ والإسراءِ والّتي أروِيها تَلقِّيًا وإجازةً - ولله الفضلُ والمِنّةُ - بأسانِيدَ عاليةٍ على ما هو مُثبَتٌ في ثَبْتَيَّ: الثّبْتِ الكَبيرِ «**المَجْدِ والمَعالِي في أسانِيدِ جَمِيل حَلِيم العَوالِي**»، والثّبْتِ الصّغيرِ «**جَمْعِ اليَواقِيتِ الغَوالِي مِن أسانِيدِ جَمِيل حَلِيم العَوالِي**».

﴿ فمِن صحيح البخاري ﴾

١) قال أبو عَبدِ اللهِ: حَدَّثَنا هُدْبَةُ بْنُ خَالِدٍ حَدَّثَنَا هَمَّامُ بْنُ يَحْيَى حَدَّثَنَا قَتَادَةُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ حَدَّثَهُمْ عَنْ لَيْلَةِ أُسْرِيَ بِهِ: «**بَيْنَمَا أَنَا فِي الحَطِيمِ**[١] - وَرُبَّمَا قَالَ: فِي الحِجْرِ[٢] - **مُضْطَجِعًا إِذْ أَتَانِي آتٍ فَشَقَّ مَا بَيْنَ هَذِهِ إِلَى هَذِهِ** - مِنْ ثُغْرَةِ نَحْرِهِ[٣] إِلَى شِعْرَتِهِ[٤] - **فَاسْتَخْرَجَ قَلْبِي، ثُمَّ أُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٍ إِيمَانًا**[٥]، **فَغُسِلَ قَلْبِي ثُمَّ**

---

(١) قال بعضُ العلماء: الحَطِيمُ هو الحِجْر، وقال بعضُهم: هو ما بينَ الرُّكنِ والمَقامِ وزَمْزمَ والحِجْر. وإنّما سُمِّيَ حَطِيمًا لما حُطِمَ مِن جِداره فلَم يُسَوَّ بِبناءِ البَيت وتُرِكَ خارِجًا مِنه مَحطُومَ الجِدار، وأصلُ الحَطمِ الكَسرُ.

(٢) الشَكُّ مِن قَتادةَ، وهو ما تحتَ مِيزابِ الرّحمةِ مِن الكعبةِ لجِهةِ الشّامِ، وإنّما سُمِّيَ حِجرًا لأنّه احتُجِرَ أي اقتُلِعَ مِنَ الأرضِ بما أُدِيرَ عليه مِن البُنْيان.

(٣) ثُغْرةُ النَّحْرِ النُّقْرة بين التَّرقُوتَين، والتَّرقُوةُ العَظمُ البارِزُ المُتّصِلُ بَين المَنكِب وثُغْرَةِ النَّحرِ، والمَنكِبُ مُجتمَع العَضُدِ والكَتِف.

(٤) قريبًا مِن السُّرّة.

(٥) أي مملوءًا بشىءٍ يَحصُل به الزّيادةُ في الكمالاتِ والحِكمةِ للنّبيّ ﷺ. وقال شيخُنا الإمام الهرريُّ رحمه الله: "الطَّسْتُ فيه شىءٌ حِسِّيٌّ، أمّا الوَصفُ بالحِكمةِ والإيمانِ فهو شىءٌ مَعنويٌّ" اهـ.

حُشِيَ[١] ثُمَّ أُعِيدَ، ثُمَّ أُتِيتُ بِدَابَّةٍ دُونَ البَغْلِ وَفَوْقَ الحِمَارِ أَبْيَض يَضَعُ خَطْوَهُ عِنْدَ أَقْصَى طَرْفِهِ فَحُمِلْتُ عَلَيْهِ، فَانْطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الدُّنْيَا فَاسْتَفْتَحَ[٢]، فَقِيلَ مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ[٣]؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ[٤] فَفَتَحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ[٥] فَإِذَا فِيهَا آدَمُ، فَقَالَ: هَذَا أَبُوكَ آدَمُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ السَّلامَ[٦] ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالِابْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ

---

(١) أي مُلِئَ بما كان في الطَّسْتِ.

(٢) أي أنْ يُفتَح له بابُها.

(٣) يعني هل طُلِب للعرُوج، وسؤال الملَكِ كان فَرَحًا واستِبشارًا لا استِبعادًا واستِنكارًا. قال الحافظ النوويُّ: "وليسَ مُرادُه الاستفهامَ عن أصل البِعثة والرِّسالة فإنّ ذلك لا يَخفى عليه إلى هذه المُدّة، فهذا هو الصّحِيح" اهـ.

(٤) أي مَجِيئُه ممدُوحٌ.

(٥) بفَتح اللّام أي وصَلْتُ.

(٦) فيه استِحبابُ أن يُسلِّمَ المارُّ على القاعِد وإنْ كان المارُّ أفضَل مِن القاعِد.

فَفَتَحَ، فَلَمَّا خلَصْتُ إِذَا يَحْيَى وَعِيسَى وَهُمَا ابْنَا الخَالَةِ، قَالَ: هَذَا يَحْيَى وَعِيسَى فَسَلِّمْ عَلَيْهِمَا، فَسَلَّمْتُ فَرَدَّا ثُمَّ قَالاَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ فَفُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يُوسُفُ، قَالَ: هَذَا يُوسُفُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: أَوَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ فَفُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِلَى إِدْرِيسَ قَالَ: هَذَا إِدْرِيسُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الخَامِسَةَ فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا هَارُونُ قَالَ: هَذَا هَارُونُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ السَّادِسَةَ فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ،

قَالَ: مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا مُوسَى قَالَ: هَذَا مُوسَى فَسَلِّمْ عَلَيْهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، فَلَمَّا تَجَاوَزْتُ[١] بَكَى، قِيلَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: أَبْكِي لِأَنَّ غُلَامًا[٢] بُعِثَ بَعْدِي يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَكْثَرُ مِمَّنْ يَدْخُلُهَا مِنْ أُمَّتِي[٣]، ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ

---

(١) أي مُوسَى أو مَقامِي الّذي كُنتُ فيه.

(٢) وَصفُه له بالغُلامِ ليس ذلكَ على سَبِيل التّنقِيصِ بل للتّنوِيه بِقُدرةِ اللهِ وعَظِيم كَرَمِه إذْ أعطَى مَن كانَ في ذلك السِنّ ما لَم يُعْطِه أحدًا قَبْلَه مِمّن هو أسَنُّ منه، قاله الحافِظُ العسقلانيّ، والعرَبُ تُسَمِّي الرّجُلَ المُستَجمِعَ السِنّ غلامًا ما دامتْ فيه بَقِيّةٌ مِن القُوّة، فالمرادُ استِقصارُ مُدَّتِه معَ استِكثارِ فضائِله واستِتمام سَوادِ أُمَّتِه.

(٣) وكان بُكاءُ موسَى ﷺ رِقّةً لِقَومِه وشفَقةً علَيهِم لأنّهُ كان يُحِبُّ لَهُم أنْ لو كانُوا على خَيرٍ أكثَر مِمّا عَمِلُوا، فكما أنّ موسى ﷺ أشفَق على أُمّة محمّد ﷺ فأشارَ على سيّدنا محمّد ﷺ أنْ يطَلُب مِن الله تخفيفَ عدَدِ الصّلواتِ عن أُمّتِه، كذلكَ أشفَق على أُمّتِه فبكَى. ولا يُنافِي ذلكَ كونُ موسَى عليه السّلامُ كسائِر الأنبياءِ في نَعِيمٍ دائِمٍ.

قال الخطّابيُّ وابنُ المُلقّن والبَدرُ العَينيّ وغيرُهم: "لا يَجُوز أنْ يُتأَوَّلَ بُكاؤُه على الحسَدِ له ﷺ، لأنّ ذلك لا يَلِيقُ بصِفاتِ الأنبياءِ" اهـ.

بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا إِبْرَاهِيمُ، قَالَ: هَذَا أَبُوكَ(١) فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ السَّلاَمَ، قَالَ: مَرْحَبًا بِالابْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ رُفِعَتْ إِلَيَّ سِدْرَةُ المُنْتَهَى(٢)، فَإِذَا نَبِقُهَا(٣) مِثْلُ قِلاَلِ هَجَرَ(٤)، وَإِذَا وَرَقُهَا مِثْلُ آذَانِ الفِيَلَةِ، قَالَ: هَذِهِ سِدْرَةُ المُنْتَهَى، وَإِذَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ: نَهْرَانِ بَاطِنَانِ(٥) وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ(٦)، فَقُلْتُ: مَا هَذَانِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: أَمَّا البَاطِنَانِ

---

(١) أي أحدُ أجدادِك، فإنّ نسَبَ النبيّ محمّد ﷺ يَرجِع إلى إبراهيمَ ﷺ.

(٢) أي استُبِينَتْ له سِدرةُ المنتهى بِنُعوتِها كُلَّ الاستِبانة حتّى اطّلَع علَيها كلَّ الاطّلاع فكان ذلك بمَثابة الشيءِ المُقرَّبِ إليه فعَبَّر عنه بقولِه: «**رُفِعَتْ إِلَيَّ**»، وقال بعضُهم: معناهُ رُفِعتُ فصِرتُ قريبًا مِنها، وفي روايةٍ: «**رُفِعَتْ لِي**»، وضبطَها الأكثَرُون - كما قاله الحافظ العسقلانيُّ - «**رُفِعْتُ إِلَى**».

(٣) بكَسرِ الباءِ وسكُونِها أي ثمَرُها.

(٤) أي ثِمارُها كبيرةٌ، الواحدةُ منها كالقُلّةِ أي الجَرَّة الكبيرةِ المعروفةِ في هَجَرَ، وهَجَرُ قريةٌ بقُربِ المدينةِ المنوَّرةِ وليستْ هي هَجَرَ ناحيةَ البَحرَين، وكانتْ قِلالُ هَجَر معلومةً عند المخاطَبِينَ.

(٥) أي مَخفِيّان عن أعيُنِ الناظِرين فلا يُريان حتّى يَصُبّا في الجنّة، أو معناهُ نهَران يَجرِيان في الجنّة ولا يَخرُجان منها، وقيل: معناهُ لا يُحاطُ بوَصفِهما.

(٦) أي يَخرُجان مِن الجنّة ليَجرِيا خارِجها.

فَنَهْرَانِ فِي الجَنَّةِ[١]، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ فَالنِّيلُ وَالفُرَاتُ[٢]، ثُمَّ رُفِعَ لِي البَيْتُ المَعْمُورُ، ثُمَّ أُتِيتُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ[٣] وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ وَإِنَاءٍ مِنْ عَسَلٍ، فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ فَقَالَ: هِيَ الفِطْرَةُ الَّتِي أَنْتَ عَلَيْهَا وَأُمَّتُكَ[٤]، ثُمَّ فُرِضَتْ عَلَيَّ الصَّلَوَاتُ خَمْسِينَ صَلاَةً كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ[٥] فَمَرَرْتُ عَلَى مُوسَى

---

(١) اختُلِفَ فيهما، فقيل: الكوثَرُ والرَّحمة، وقيلَ: الكوثَر والسّلسبِيل.

(٢) قال شيخُنا الإمام الهرريّ: "النِّيلُ ماؤُه يَنزِل مِن الجنّة بِطَريقةٍ لا يراها النّاسُ ويَدخُل في أرض الحبَشة ثُمّ يَخرُج مِن هناكَ، وكذلك الفُراتُ ماؤُه يَنزِل مِن الجنّة، لكِنّ ماءَهما تغيَّر بعدَما نَزَل إلى الأرضِ، ولو بَقِي ماؤُهما على صِفَتِه كان الّذي يَشرَبُ مِنه لا يَمرَض ولا يُحِسُّ بثِقَلٍ" اهـ.

(٣) أي مِن خَمرِ الجنّة اللّذِيذ الّذي لا يُسكِرُ ولا يُصدِعُ الرأسَ وليسَ مِن خَمرِ الدُّنيا الّذي هو نَجِسٌ لأنّ النَّجِس لا يكُون مَعرُوضَ الملائكةِ.

(٤) أي دِينُ الإسلامِ.

(٥) أي مِن المكانِ الّذي كان فيه ﷺ حيثُ أُوحِيَ إليه أنّه فُرِضَ على النّبِيّ ﷺ وأُمَّتِه خمسُون صلاةً في اليوم واللّيلة إلى السّماءِ السّادسةِ، وليسَ المُرادُ أنّ النّبِيَّ ﷺ وصلَ إلى مَكانٍ لَقِيَ اللّهَ تعالَى بمُقابلةٍ ومَسافةٍ، حاشا، فإنّ الله تعالَى موجودٌ أزلًا وأبدًا بلا مكانٍ ولا جهةٍ، ويستحيلُ عليه عزّ وجلّ أن يكونَ بَينه وبينَ خَلقِه مسافةٌ أو مُقابلةٌ أو اتّصالٌ، ويستحيلُ عليه أنْ يَحُلّ في شيءٍ مِن العالَم وأنْ يَحُلّ فيه شيءٌ، كان اللّهُ عزّ وجلّ =

فَقَالَ: بِمَا[١] أُمِرْتَ؟ قَالَ: أُمِرْتُ بِخَمْسِينَ صَلاَةً كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تَسْتَطِيعُ خَمْسِينَ صَلاَةً كُلَّ يَوْمٍ، وَإِنِّي وَاللَّهِ قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ وَعَالَجْتُ[٢] بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ المُعَالَجَةِ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ[٣] فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ[٤] عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ[٥]، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَأُمِرْتُ بِعَشْرِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَأُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ: بِمَ أُمِرْتَ؟ قُلْتُ: أُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تَسْتَطِيعُ خَمْسَ

= قبلَ المَكان والزّمانِ بلا كَيفٍ ولا مَكانٍ، ولَم يَزلْ سُبحانه بعدَ خَلقِ المخلوقاتِ بلا كيفٍ ولا مَكانٍ.

(١) الرّواية بمَدّ الألِف.

(٢) أي مارَسْتُهم وخَبِرتُهم ولَقِيتُ مِنهُم الشِدّةَ فيما أَردتُ مِنهُم مِن الطّاعةِ.

(٣) أي ارجِعْ إلى المكانِ الّذي تُناجِي فيه رَبَّك حيثُ كان يُوحَى إليكَ بأمرِ الصلاة، واللهُ تعالَى لا يتحيَّز في مَكانٍ ولا في كُلّ الأماكِن، بل هو تعالَى موجودٌ أزلًا وأبدًا بلا مكانٍ.

(٤) أي حَطَّ وخَفَّف.

(٥) أي مِثلَ قولِه الأوّلِ.

صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، وَإِنِّي قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ المُعَالَجَةِ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ[١] فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ، قَالَ: سَأَلْتُ رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ[٢]، وَلَكِنِّي أَرْضَى وَأُسَلِّمُ[٣]، قَالَ: فَلَمَّا جَاوَزْتُ[٤] نَادَى مُنَادٍ[٥]: أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي[٦]».

---

(١) انظُرِ التّعليقَ الّذي سَبَق.

(٢) أي فلا أسألُ تخفيفَ ذلكَ مرّةً أُخرى.

(٣) لا شَكّ أنّ رسولَ الله ﷺ مُسلِّمٌ أمرَه للهِ تعالَى في كلّ حالٍ راضٍ بما قَدَّرَ اللهُ، فيُحمَل قولُه ﷺ «**وَلَكِنِّي أَرْضَى وَأُسَلِّمُ**» تأكِيدًا لأنّه ﷺ لا يَرجِعُ ليسألَ التّخفيفَ بعد ذلكَ بل يَمضِي فيما أُوحِي إليه فيه مِن أنّ الصّلواتِ الواجبةَ خمسٌ في اليوم واللّيلة.

(٤) أي جاوزَ مُوسَى ﷺ.

(٥) أي ملَكٌ مُبلِّغٌ عن اللهِ تعالَى.

(٦) أي قالَ الملَكُ: إنّ اللهَ تعالَى يقولُ: «أنفذْتُ فَرِيضَتِي على عِبادِي بخَمسِ صلَواتٍ فأوجَبتُها علَيهم وخَفَّفتُ عنهُم مِن خَمسِينَ صلاةً إلى خَمسٍ وأَجزِي الحسَنةَ عَشرًا فيَحصُل لَهُم ثَوابُ خَمسِينَ صلاةً".

وفي الحديث دليل لأهلِ الحَقّ أهلِ السُنّة والجماعةِ الأشاعِرةِ والماتُريديّة علَى أنّ النَبِيَّ والوَلِيّ له تَصرُّفٌ بَعد وفاتِه وأنّه يَنْفَعُ بإِذْنِ الله عزَّ وجلَّ، فقد نفَعَ موسَى أُمّةَ محمّدٍ ﷺ نَفْعًا عَظِيمًا بما حصَل لَيلةَ المِعراجِ حين أشارَ علَى سيّدنا محمّدٍ ﷺ أن يَطْلُبَ مِن اللهِ تعالَى التّخفِيفَ في عددِ =

٢) وقال أبو عَبدِ اللهِ: حَدَّثَنَا آدَمُ حَدَّثنَا شَيْبَانُ حَدَّثَنَا قَتَادَةُ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا عُرِجَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى السَّمَاءِ قَالَ: «**أَتَيْتُ عَلَى نَهَرٍ**[١] **حَافتَاهُ قِبَابُ اللُّؤْلُؤِ مُجَوَّفًا، فَقُلْتُ**: **مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ**: **هَذَا الكَوْثَرُ**».

٣) وقال أبو عَبدِ اللهِ: حَدَّثنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ حَدَّثنَا غُنْدَرٌ حَدَّثنَا شُعْبَةُ عَنْ قَتَادَةَ (ح) وقَالَ لِي خَلِيفَةُ: حَدَّثنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ حَدَّثَنَا سَعِيدٌ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَبِي العَالِيَةِ حَدَّثنَا ابْنُ عَمِّ نَبِيِّكُمْ - يَعْنِي ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي مُوسَى رَجُلًا آدَمَ**[٢] **طُوَالًا**[٣] **جَعْدًا**[٤] **كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ**[٥]،

= الصّلواتِ، وفي هذا رَدٌّ على مُشَبِّهة العَصرِ المُجسِّمة النّافِينَ حُصولَ النَّفْعِ مِمّن ماتَ، ويَعتبِرُون المتوسِّلَ بالأنبياءِ والأولياءِ مُشرِكًا باللهِ.

(١) أي عرَض له في الجنّة نهَرٌ.

(٢) أي لونُ بشَرتِه لونُ الأُدْمة، فليسَ أبيضَ مُشرِقًا بل أسمَرُ سُمرةً خَفِيفةً مع شيءٍ مِن الحُمْرةِ والبياضِ الخَفِيفَين.

(٣) بضَمّ الطاءِ أي طَوِيلًا على ما كانَ في زمانِه.

(٤) أي غيرُ مُسترسِل شعَر الرأس، وهو ضِدُّ السَّبط.

(٥) أي يُشبِهُم في طُولِه وسُمْرَتِه الخَفِيفةِ، ويُقالُ: إنّ رِجالَ شَنُوءةَ – قبيلةٍ قَحطانيّةٍ مِن الأَزْدِ - غيرُ سِمانٍ.

وَرَأَيْتُ عِيسَى رَجُلًا مَرْبُوعًا[١]، مَرْبُوعَ الخَلْقِ[٢] إِلَى الحُمْرَةِ وَالبَيَاضِ[٣] سَبِطَ الرَّأْسِ[٤]، وَرَأَيْتُ مَالِكًا خَازِنَ النَّارِ وَالدَّجَّالَ[٥]» فِي آيَاتٍ أَرَاهُنَّ اللهُ إِيَّاهُ[٦]: ﴿فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾[٧] [السجدة: ٢٣]، قَالَ أَنَسٌ وَأَبُو بَكْرَةَ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «تَحْرُسُ المَلَائِكَةُ المَدِينَةَ مِنَ الدَّجَّالِ».

---

(١) يُقال: رجلٌ رَبْعةٌ ومَربُوعٌ إذا كانَ مُعتدِلَ الطُّول.

(٢) أي مُعتدِل الخِلْقة، وهو بيانٌ لِما سبَق.

(٣) مائلَ لَونِ البشَرة إلى ما هو بَين الحُمرة والبَياضِ، وهو الأَسمَرُ الّذي فوقَ سُمرةِ الآدَمِ لكنّه ليسَ شدِيدَ السُّمرةِ ولا أسودَ.

(٤) أي مُسترسِلُ شعَر الرّأسِ ليسَ بجَعدٍ.

(٥) أي ورأَى رسولُ الله ﷺ الأعورَ الدجّالَ والنّبيُّ ﷺ في مَكانِه والدّجالُ في مكَانِه هو حيثُ محبوسٌ.

(٦) أي معَ علاماتٍ أُخرَ أراهُنّ اللهُ تعالَى نَبِيَّه ﷺ.

(٧) هو إدراجٌ مِن بعضِ الرواة، ومعناهُ فلا تَكُن في شَكٍّ مِن لقاءِ محمّدٍ موسَى عليهِما الصّلاة والسّلامُ، وقال بعضُهم: معناهُ فلا تَكُن في شَكٍّ مِن رؤيةِ محمّد ﷺ ما ذُكِرَ أنّه رءاهُ، وقال ءاخَرُون: رأَى محمّد ﷺ الدَجّال معَ ءاياتٍ أُخَر لَم يَحْكِها، فإذا كان خُروجُ الدّجّالِ مَوعُودًا فلا تَكُن في مِريةٍ مِن رؤية النّبيّ ﷺ للأعورِ الدَجّالِ.

٤) وقالَ أبو عَبدِ اللهِ: حَدَّثنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ حَدَّثنَا اللَّيْثُ عَنْ عُقَيْلٍ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ: حَدَّثنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**لَمَّا كَذَّبَتْنِي قُرَيْشٌ قُمْتُ فِي الحِجْرِ**[1] **فَجَلَا**[2] **اللهُ لِي بَيْتَ المَقْدِسِ، فَطَفِقْتُ**[3] **أُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ**[4] **وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ**».

٥) وقالَ أبو عَبدِ اللهِ: حَدَّثنَا إِسْمَاعِيلُ قَالَ: حَدَّثَنِي أَخِي عَنْ سُلَيْمَانَ عَنْ شَرِيكِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي نَمِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يُحَدِّثُنَا عَنْ لَيْلَةِ أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ ﷺ مِنْ مَسْجِدِ الكَعْبَةِ قَالَ: «جَاءَهُ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ[5] قَبْلَ أَنْ يُوحَى إِلَيْهِ[6] وَهُوَ نَائِمٌ فِي مَسْجِدِ الحَرَامِ، فَقَالَ أَوَّلُهُمْ: أَيُّهُمْ هُوَ؟ فَقَالَ: أَوْسَطُهُمْ هُوَ خَيْرُهُمْ[7]، وَقَالَ

---

(١) سبَق الكلامُ عليه في الحديث الأوّلِ.

(٢) أي كشَفَ الحجُبَ بيني وبينَه حتى رأيتُه كأنّه عِندي.

(٣) أي أخَذتُ.

(٤) أي علاماتِه وتفاصِيلِه وأحوالِه.

(٥) أي مِن الملائكةِ الكِرامِ.

(٦) أي فِي أمرٍ مُعيَّنٍ لا أنّه لَم يَكُن أُوحِيَ إليه قبلُ على الإطلاقِ.

(٧) كانَ النَبيُّ ﷺ نائمًا بَين اثْنَين.

آخِرُهُمْ: خُذُوا خَيْرَهُمْ[١]، فَكَانَتْ تِلْكَ، فَلَمْ يَرَهُمْ حَتَّى جَاؤُوا لَيْلَةً أُخْرَى فِيمَا يَرَى قَلْبُهُ وَالنَّبِيُّ ﷺ نَائِمَةٌ عَيْنَاهُ وَلاَ يَنَامُ قَلْبُهُ، وَكَذَلِكَ الأَنْبِيَاءُ تَنَامُ أَعْيُنُهُمْ وَلاَ تَنَامُ قُلُوبُهُمْ، فَتَوَلَّاهُ جِبْرِيلُ[٢] ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ».

٦) وقال أبو عَبدِ اللهِ: حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنِ الأَعْمَشِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَلْقَمَةَ عَنْ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾[٣] [النجم: ١٨]، قَالَ: «رَأَى رَفْرَفًا أَخْضَرَ

---

(١) أي محمّدًا ﷺ للعُروجِ به إلى السّماءِ.

(٢) أي تولَّى أخذَه مِن بَيتِ أُمّ هانِئٍ في رِحلة الإسراءِ والمِعراجِ.

(٣) أي رأَى محمّدٌ ﷺ بعضَ عجائِب العالَم العُلوِيّ حِين عُرِجَ به ﷺ إلى السّماوات. ولا يَصِحُّ حَملُ هذا النَصّ في معرِض الاستِدلالِ على أنّه ﷺ رأى رَبَّه بفؤادِه - كما هو قولُ الجُمهورِ - ولا على أنّه ﷺ رأى رَبَّه بعَينَيْ رأسِه - وهو القولُ المرجوحُ - لأنّ "الآياتِ" جَمعُ ءايةٍ، وهي في الآيةِ مُضافةٌ إلى اللهِ تعالَى خَلْقًا وتكوينًا بقولِه: ﴿ءَايَٰتِ رَبِّهِ﴾، فاللهُ تعالَى خالِقُ هذه الآياتِ، فلا يجوزُ أنْ يُرادَ بالآياتِ ذاتُ اللهِ وإلّا صارَ المعنَى فاسِدًا وهو أنّ اللهَ مربوبٌ لنَفْسِه مخلوقٌ له، وهو ضلالٌ مُبِينٌ.

وقَد ذكَرَ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه في هذا الحديثِ مِن الآياتِ الكُبرَى الرَّفرَفَ الأخضَرَ.

سَدَّ أفُقَ السَّمَاءِ[(١)]».

﴿ ومِن صحيح مُسلِم ﴾

٧) قالَ أبُو الحَسَنِ[(أ)]: حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ حَدَّثَنَا ثَابِتٌ الْبُنَانِيُّ عَنْ أنَسِ بْنِ مَالِكٍ أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ:

(أ) الصواب: أبو الحسين

---

(١) الرَّفرَفُ الأخضَرُ بِساطٌ عَرِيضٌ جِدًّا يَسُدُّ الأفُق، قيل: إنه خادِمٌ مأمورٌ مِن اللّهِ تعالى بأمورٍ خاصّةٍ في الجنّة حيثُ يَتّكئ المؤمِنُون ويَفترِشُون عليه إذا أرادوا، وإذا استوَى عليه الوَلِيّ رَفرَف أي طارَ به فوقَ أنهارِ الجنّة وشُطوطِها حيث شاء فيذهَب بِه إلى خيامِ أزواجِه الخَيراتِ الحِسانِ مِن الحُورِ العِين. ولمّا بلَغ النَّبِيُّ ﷺ سِدرةَ المُنتهَى جاءَه الرَّفرَفُ الأخضَرُ فجلَسَ ﷺ عليه فطارَ به الرَّفرَفُ إلى العَرش جَعَل يَخفِضُ ويَرفَع حتى وصَل إليه، فلَمّا رءاه النَّبِيُّ ﷺ شكَر اللّهَ تعالَى على هذه النِّعمةِ العَظِيمة، ورأى ﷺ مكتوبًا على قوائِم العَرش «لا إلٰه إلا اللّهُ محمّدٌ رسولُ اللّه»، ورأى ﷺ حملةَ العَرشِ وهم أربعةٌ مِن أكبَرِ الملائكةِ حَجمًا، ويُزاد علَيهم أربعةٌ ءاخَرُون يومَ القيامة يحمِلُون العرشَ وذلك بيانًا لعِظَم ذلك اليومِ. ولَمّا حانَ وقتُ رُجوعِ النّبِيّ ﷺ تَناوَل ﷺ الرَّفرَفَ فطارَ به خَفضًا ورَفعًا حتّى وصَل إلى حيثُ يَنتظِرُ جِبريلُ عليه السّلامُ وقَد ظهَر له للمرّةِ الثانيةِ على هَيئتِه الأصلِيّة التي خُلِقَ علَيها.

«أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ[١]، فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ[٢] ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ[٣] فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ[٤]، ثُمَّ خَرَجْتُ فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ[٥] وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ جِبْرِيلُ: اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ[٦]، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا[٧] إِلَى السَّمَاءِ فَاسْتَفْتَحَ

---

(١) أي يَضَعُ حافِرَه عِندَ ءاخِرِ ما يَراهُ نظَرُه مِن الأرض، وهو كنايةٌ عن أنّه سريعٌ بعيدُ الخَطْو.

(٢) أي يَربِطُون بِها دوابَّهُم. والحَلْقة في الرِّواية بسكُون اللّام كما هي على اللُّغة الفَصِيحة المشهورة، وحُكِي فتحُها لُغةً.

(٣) أي المَسجِدَ الأقصَى.

(٤) أي تَحِيّةَ المَسجِد أو الصّلاةَ الّتي صلّاها إمامًا بالأنبياءِ عليهِم الصّلاةُ والسّلامُ.

(٥) أي خَمرِ الجنّة، وسبَق الكلامُ على ذلك في الحديثِ الأوّلِ.

(٦) أي دِينَ الإسلامِ.

(٧) وكان صُعودُ النّبِيّ ﷺ على المِرقاةِ وهي سُلَّمٌ محسوسٌ مُباركٌ، شىءٌ يَبْهَرُ الأنظارَ جَمِيلُ اللَّونِ، درجَةٌ مِن ذهَبٍ وأُخرَى مِن فِضّةٍ وهكذا، قاله شيخُنا الإمامُ الهرريُّ رحمه اللهُ.

جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنَ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ[١]؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقِيلَ: مَنَ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِابْنَيِ الْخَالَةِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَيَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّاءَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمَا فَرَحَّبَا وَدَعَوَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنَ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ ﷺ إِذَا هُوَ قَدِ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ[٢] فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ

---

(١) يعني هل طُلِب للعرُوج، وسؤال الملَكِ كان فَرَحًا واستِبشارًا لا استِبعادًا واستِنكارًا. قال الحافظ النوويُّ: "وليسَ مُرادُه الاستفهامَ عن أصل البِعثة والرِّسالة فإنّ ذلك لا يَخفى عليه إلى هذه المُدّة، فهذا هو الصّحِيح" اهـ.

(٢) أي أُوتِي نِصفَ مِقدارِ الجَمالِ الّذي وُزّعَ بَين النّاسِ. وجمالُ يوسُفَ ﷺ كان مكشوفًا ولم يَكُن مَصُونًا بالمَهابَةِ، أمّا نَبِيُّنا محمّد ﷺ فإنّه قَد أُعطِيَ الحُسنَ كُلَّه لكنّ جَمالَه كانَ مَصونًا بالجَلال أي المَهابَةِ.

فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قَالَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ ﷺ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾[1] [مريم: ٥٧]، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ ﷺ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى ﷺ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ ﷺ

---

(١) مَعناه رفَعَ اللهُ عزَّ وجلَّ إدريسَ ﷺ إلى دَرجةٍ عاليةٍ في القَدْر، فالرِّفعةُ هنا بعُلُوّ المرتَبةِ، وليسَ معناه أسكَنّاه السّماءَ الرّابِعةَ أو السّادسةَ وأنّه مات فيها كما يَقُول بعضُهم.

مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ[(١)] وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ، ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى السِّدْرَةِ الْمُنْتَهَى[(٢)] وَإِذَا وَرَقُهَا كَآذَانِ الْفِيَلَةِ وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلَالِ[(٣)]، فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللهِ مَا غَشِيَ[(٤)] تَغَيَّرَتْ[(٥)]، فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ

---

(١) هو بَيت في السّماء له حُرمة عند الله كما أنّ للكَعبة حُرمةً، وهو بالنِّسبة للملائكة كالكَعبة بالنِّسبة للنّاس. فالبيتُ المعمورُ بيتٌ مُقدَّسٌ للملائكةِ، وقد أمرَ الله تعالَى الملائكةَ أن يعظِّموا هذا البيتَ، وهو مُوازٍ للكعبة الّتي في الأرض أي يُحاذِيها مع ارتفاعِه وبُعد مَسافتِه عنها. ومَقَرُّ البيتِ المعمورِ في السّماءِ السّابعةِ في مَكانٍ قَبل المكانِ الّذي سَمِعَ فيه رسولُ الله ﷺ صَرِيفَ الأقلامِ.

(٢) قال الحافظ النّووي: "هكذا وقَع في الأصول السِّدْرة بالألِف واللّام" اهـ.

(٣) أي كالجِرارِ العظِيمةِ الحَجم.

(٤) أي أفاضَ اللهُ تعالَى بقُدرَتِه على السِّدرةِ بأنوارٍ وأُمورٍ أظهرَتْ حُسنَها حتّى إنّه لا يستطِيعُ أحَدٌ أنْ يصِفَها على التّمام. قال بعضُ العلماء: غطَّتْها أنوارُ أجنحةِ الملائكة، وقال غيرُهم: غَشِيَها فَراشٌ مِن ذهَبٍ وألوانٍ مُتعدِّدةٍ، وفي حديثِ أنسٍ الّذي رواهُ أحمدُ مرفوعًا: «**فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللهِ مَا غَشِيَهَا تَحَوَّلَتْ يَاقُوتًا أَوْ زُمُرُّدًا أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ**».

(٥) أي مِن حالٍ في الحُسنِ إلى حالٍ أعجَبَ.

يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا[١]، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى[٢]، فَفَرَضَ عَلَيَّ[٣] خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى ﷺ فَقَالَ: مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: خَمْسِينَ صَلَاةً، قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ[٤] فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ[٥] بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ[٦]، فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي فَقُلْتُ: يَا رَبِّ خَفِّفْ عَلَى أُمَّتِي، فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقُلْتُ: حَطَّ عَنِّي خَمْسًا، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ[٧] فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى

---

(١) أي لا أحدَ مِن الخَلقِ يستطِيعُ الإحاطةَ بأوصافِها مِن فَرطِ جَمالها.

(٢) فيه إبهامٌ وعدَمُ تصريحٍ بما أوحَى اللهُ تعالَى إلى نَبيّه ﷺ في ذلكَ الوَقتِ تعظِيمًا لأمرِ المُوحَى به إليه ﷺ.

(٣) أي وعلى أُمَّتِه ﷺ.

(٤) أي ارجِعْ إلى المكانِ الّذي تُناجِي فيه رَبَّك حيثُ كان يُوحَى إليكَ بأمرِ الصلاة، واللهُ تعالَى لا يتحيَّز في مَكانٍ ولا في كُلّ الأماكِن، بل هو تعالَى موجودٌ أزلًا وأبدًا بلا مكانٍ.

(٥) أي جَرَّبتُ.

(٦) أي امتحَنتُهم.

(٧) انظُرِ التّعليقَ الّذي سَبَق.

وَبَيْنَ مُوسَى(١) عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى قَالَ(٢): يَا مُحَمَّدُ، إِنَّهُنَّ(٣) خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ(٤) فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً(٥)، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ(٦) فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً(٧)، فَإِنْ عَمِلَهَا

(١) أي مِن المكانِ الّذي كان فيه ﷺ حيثُ أُوحِيَ إليه أنّه فُرِضَ عليه وأُمَّتِه خمسُون صلاةً إلى السّماءِ السّادسةِ، وليسَ المُرادُ أنّ النّبيَّ ﷺ وصلَ إلى مَكانٍ لَقِيَ اللهَ تعالَى بمُقابلةٍ ومَسافةٍ، حاشا، فإنّ الله تعالَى موجودٌ أزلًا وأبدًا بلا مكانٍ ولا جهةٍ، ويستحيلُ عليه عزّ وجلّ أن يكونَ بَينه وبينَ خَلقِه مسافةٌ أو مُقابلةٌ أو اتّصالٌ كما يستحيلُ عليه أنْ يَحُلّ في شىءٍ مِن العالَم وأنْ يَحُلّ فيه شىءٌ، كان اللهُ قبلَ المَكان والزّمانِ بلا كَيفٍ ولا مَكانٍ، ولَم يَزلْ سُبحانه بعدَ خَلقِ المخلوقاتِ بلا كيفٍ ولا مَكانٍ.

(٢) أي ملَكٌ مُبلِّغٌ عن اللهِ تعالَى، وقال بعضُهم: أسمَعَ اللهُ تعالَى نَبِيَّه ﷺ كلامَه الذّاتِيَّ الّذي ليسَ حرفًا ولا صوتًا ولا لُغةً ولا يُشبِهُ كلامَ المخلوقِينَ ففَهِمَ مِنه ﷺ ذلكَ.

(٣) أي الصَّلواتِ المفرُوضات.

(٤) أي ثَوابُ عَشرِ صلَواتٍ.

(٥) أي يُجزَى على الخَمسِ ثوابَ خمسِينَ.

(٦) أي قصَد فِعلَ أمرٍ فيه ثوابٌ يعنِي عزَمَ على فِعل ذلكَ.

(٧) أي صرَفه صارِفٌ عن الفِعل، فإنّه يُكتَبُ له ثوابٌ على عَزمِه على فِعل الخَير، فإنْ عَمِلَ الخيرَ بنيّةٍ حسَنةٍ كُتِبَ ثوابٌ ثانٍ جزاءً على العمَلِ.

كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا[١]، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا[٢]، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً[٣]، فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى

---

(١) أي كُلُّ حسَنةٍ يكسِبُها المرءُ تُضاعَفُ عشرًا، وهو الّذي يَدُلّ عليه صريحُ قولِه تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَا﴾.

(٢) أي تردَّد في فِعلِها ولَم يَعزِمْ على الفِعل ولا صمَّم ولا تكلَّم أنّه يَفعَلُ، بل استَوى عِندَه الأمرُ وتوقَّف عِندَ "أفعَلُ، لا أفعَلُ" ولَم يَعزِم فهذا لا يُكتَبُ عليه إثمُ العَزمِ على المعصيةِ. ومِثالُ الجَزمِ أنْ يُصمِّمَ أنّه إنْ تَيسَّر له سيَفعَلُ تلكَ المعصيةَ، وهذا بالنِّسبة للمعاصِي الّتي هي دُونَ الكُفر، أمّا التردُّد في الكُفرِ كأنْ تردَّد في نَفسِه "أكفُر أو لا أكفُر" فهذا يَكفُر في الحال ولَو لَم يَعزِم على الكُفر ويَجْزِمْ، وليسَ الكلامُ على مُجرَّدِ الخاطِر الّذي يَرِدُ على القلبِ مِن غيرِ إرادةٍ ويَكرَهُه الشخصُ ولا يَعمَلُ بِه، بل الكلامُ على مَن تَردَّد هل يَدُوم على الإيمانِ أو يَخرُج مِن الإسلامِ بالكُفر فهذا الّذي يَكفُر بذلك التَردُّد ولَو لَم يأْتِ بعد ذلكَ بكُفرٍ ءاخَرَ فإنْ أتَى بكُفرٍ ءاخَر كُتِبَ عليه كُفرٌ أيضًا، والعياذُ باللهِ، ومِن بابِ أَولَى أنّ الّذي عَزَم على الكُفر يَكفُر في الحالِ سواءٌ ارتكَبَ الكُفرَ الّذي عَزَم عليه أو لَم يَرتكِبْهُ.

(٣) أي مَن عَمِلَ سيّئةً كُتِبَت عليه واحِدةً كما يَدُلّ عليه صريحُ قولِه تعالى: ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا﴾، وأمّا السَيِّئاتُ فلا يُضاعَفُ شىءٌ مِنها في حرَمِ مكّة إلّا مَن عَمِلَ ظُلمًا كبيرًا مثلًا كقَتلِ نَفسٍ مُؤمِنةٍ =

ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ[١] فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَقُلْتُ: قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ[٢]».

٨) قالَ أبو ~~الحسن~~[ب]: حَدَّثَنَا أبو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا أبُو أسَامَةَ حَدَّثَنَا مَالِكُ بْنُ مِغْوَلٍ (ح)[٣] وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ

(ب) الصواب: أبو الحسين

= بغَيرِ حَقّ أو قَطعِ طَرَفِه ظُلمًا وعُدوانًا أو فَقءِ عَينِه ظُلمًا وما أشبَه ذلك كتَهشيمِ وَجهِ المُسلِم، أمّا القولُ بأنّ المَعصِيةَ في الحرَم يُضاعَفُ مُطلَقًا فهو باطِلٌ مَردودٌ ويُنفِّرُ الناس عن الإقامةِ بمكّة، ولا دليل لذلك في الشّرعِ، أمّا الأوّل وهو الصّوابُ الذي ذكَرناه فدليلُه عند العُلماءِ قولُ الله تعالى: ﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

(١) أي ارجِعْ إلى المكانِ الّذي تُناجِي فيه رَبَّك حيثُ كان يُوحَى إليكَ بأمرِ الصلاة، واللهُ تعالى لا يتحيَّزُ في مَكانٍ ولا في كُلّ الأماكِن، بل هو تعالى موجودٌ أزلًا وأبدًا بلا مكانٍ.

(٢) أي فلا أسألُ تخفيفَ ذلكَ مرّةً أخرى.

(٣) هي إشارةٌ إلى كلمة "تحويل" لأنّ الإمام مُسلمًا يُحوّل السَّنَد مِن طريق شيخِه أبي بكرِ بن أبي شَيبة ليَروِيَ الحديثَ مِن طريقِ شيخِه الثّاني ابنِ نُمَيرٍ الهَمْدانيّ، وقَد فَعَل ذلكَ الإمامُ مُسلِمٌ رحمه اللهُ في «صحِيحِه» مئاتِ المرّاتِ، أمّا الإمامُ البُخاريّ رحمه اللهُ ففعلَه في «صحِيحِه» أقلَّ =

جَمِيعًا عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ نُمَيْرٍ، وَأَلْفَاظُهُمْ مُتَقَارِبَةٌ، قَالَ ابْنُ نُمَيْرٍ: حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا مَالِكُ بْنُ مِغْوَلٍ عَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ عَدِيٍّ عَنْ طَلْحَةَ عَنْ مُرَّةَ عَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ: «لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ انْتُهِيَ بِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَهِيَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، إِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُعْرَجُ بِهِ مِنَ الْأَرْضِ فَيُقْبَضُ مِنْهَا وَإِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُهْبَطُ بِهِ مِنْ فَوْقِهَا فَيُقْبَضُ مِنْهَا[1]»، قَالَ: ﴿إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ﴾ [النجم: ١٦] قَالَ:

= مِن ذلكَ. وقد فعَل ذلكَ الإمامُ مُسلِمٌ رحمه اللهُ عند هذا الحديثِ تفادِيًا لتَكرارِ المَتنِ إذْ إنّ مَتن الحديثِ عندَ ابنِ أبي شيبةَ وابنِ نُميرٍ واحِدٌ لكنّ السَّنَدَ مُختلِفٌ أوَّلُه.

قال الحافِظُ الزَّينُ العِراقيُّ في ألفيّته «التّبصِرة التّذكِرة» في علوم الحدِيث:

وَكَتَبُوْا عِنْدَ انْتِقالٍ مِنْ سَنَدْ ... لِغَيْرِهِ (ح) وَانْطِقَنْ بِهَا وَقَدْ
رأى الرَّهَاوِيُّ بِأَنْ لَا تُقْرَا ... وَأَنَّهَا مِنْ حَائِلٍ، وَقَدْ رَا
بَعْضُ أُوْلِي الْغَرْبِ بِأَنْ يَقُوْلَا ... مَكَانَهَا (الْحَدِيْثَ) قَطْ، وَقِيْلَا
بَلْ حَاءُ تَحْوِيْلٍ وَقالَ قَدْ كُتِبْ ... مَكَانَهَا (صَحَّ) فَـ(ح) مِنْهَا انْتُخِبْ

(١) قال شيخُنا الإمامُ الهرريُّ رحمه الله: "معناهُ الأمورُ الّتي يَصعَدُ بها الملائكةُ المُوكَّلون مِن الأرضِ أو مِن السّماءِ الأُولَى أو مِن الثّانِية أو الثّالِثة أو نَحوِ ذلك يُنتهَى بها إلى سِدرةِ المُنتهَى، ثُمّ ما يُنزَل بِه مِن فَوقِ ذَلِك أي مِن العَرشِ فما دُونَه هُناكَ يُنتهَى بِه، فسِدرةُ المُنتهَى مَحَطّةٌ =

«فَرَاشٌ مِنْ ذَهَبٍ»، قَالَ: «فَأُعْطِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلَاثًا: أُعْطِيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ، وَأُعْطِيَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ(١)، وَغُفِرَ لِمَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِاللهِ مِنْ أُمَّتِهِ شَيْئًا الْمُقْحِمَاتُ(٢)».

٩) وقالَ أَبُو الحَسَنِ(أ): حَدَّثَنَا هَدَّابُ بْنُ خَالِدٍ وَشَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ قَالَا: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ وَسُلَيْمَانَ التَّيْمِيِّ عَنْ أَنَسِ ابْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ ﷺ قَالَ: «**مَرَرْتُ عَلَى مُوسَى(٣) لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي**

(أ) الصواب: أبو الحسين.

= لِمَا يُصعَدُ بِه مِن أسفَلَ ولِمَا يُنزَل به مِن فَوقِها، وهي أصلُها في السّادِسةِ وأعلاها في السّابِعة" اهـ.

(١) يعني الآيتَين الأخيرتَين: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾ إلى ءاخرِها.

(٢) أي بعضُ مَن ماتَ مِن هذه الأمّة مُؤمِنًا لكنّه كان مِن أهلِ الكبائرِ فإنّ اللّهَ يَغفِرُ له الكبائرَ كُلَّها أو بعضَها، وهذا كما قُلنا هو للبعضِ، فإنّه قَد ثبتَ بنَصّ القرءانِ والحديثِ الثّابِت أنّ الله عزّ وجلّ يُعذّبُ بعضَ أهل الكبائرِ المُسلمِينَ، و«المُقْحِمات» كَسرِ هُنا الذّنوب المُهلِكاتُ مِمّا سِوَى الكُفرِ، سُمِّيَتْ بذلكَ لأنّها تُقحِمُ أي تُدخِلُ فاعِلَها النّارَ إنْ لَم يُعفَ عنه، أمّا مَن مات على الكُفر فإنّه لا مَغفِرةَ له ولا يُخفَّف عنه شىءٌ مِن العذاب بل يُعذَّبُ في القَبرِ ومَوقِف الحِساب ثُمّ في جهنَّم إلى ما لا نهايةَ.

(٣) أي مَرَّ رسولُ الله ﷺ بقَبرِ موسَى ﷺ بأرِيحاءَ أو قريبًا مِنها في فلَسطِينَ.

عِنْدَ الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ(١) وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ(٢)».

---

(١) أي بموضِعٍ فيه قِطعةٌ مِن الرَّملِ مُستطِيلةٌ مُحْدَودِبةٌ كالتَلَّةِ حَمراءُ اللَّونِ.

(٢) قال شيخُنا الإمامُ الهرريُّ رحمه اللهُ: "رأى محمّدٌ مُوسَى عليهِما الصّلاةُ والسّلامُ ليلةَ الإسراءِ قائِمًا يُصلِّي في قَبرِه، وبَين موسى ومحمدٍ نحوُ ألفِ سنَةٍ. رَوى البَزّار وأبو يعَلَى في «مُسندَيهما» عن أنسٍ أنّ رسولَ الله ﷺ قال: «الأَنْبِيَاءُ أَحْيَاءٌ فِي قبُورِهِمْ يُصَلونَ» أي بعدَما ماتوا موتًا حقِيقيًّا رَدَّ اللهُ إليهم أرواحَهم فهُم أحياءٌ في قبُورِهم يُصلون صلاةً حقيقيّةً برُكوعٍ وسُجودٍ، ووضُوءٌ واحِدٌ يَكفِيهِم لكُلِّ مُدّةِ البَرزَخ. والصّلاةُ التي تكونُ مِنهُم في القَبرِ ليسَتْ مِن العمَلِ التكلِيفيّ لأنّ التّكلِيفَ انقطَعَ بالمَوتِ، بل تكونُ صلاتُهم للتَلذُّذ بذِكرِ اللهِ، ولا يُلاقُون مَشقّةً في ذلك. وقد حصَل ذلكَ أيضًا لغيرِ الأنبياءِ كما شُوهِدَ مِن ثابتٍ البُنانِيّ أحدِ التّابعِينَ.

وقالَ ﷺ: «عِنْدَ الكَثِيبِ الأحْمَرِ» لَم يُحدِّد المكانَ، لكِنّ هذه الأرضَ رأَيْناها لمّا زُرْنا بَيتَ المَقدِس، هُناك قَبلَ الجبَلِ مَقامٌ له أربعةُ أبوابٍ يَقولُ النّاسُ: هُناكَ قَبرُ موسَى ﷺ، وهو قَرِيبٌ مِن هذا الكثِيبِ الأحمَرِ.

وفي الحديثِ دليلٌ للمُسلِمِينَ على **استِحبابِ معرفةِ قُبورِ الأنبياءِ والأولياءِ والصّالحِينَ وزِيارَتِها**، قال الحافظُ وليُّ الدّين العراقيُّ في حديث أبي هريرة أنّ موسَى قال: «رَبِّ أَدْنِنِي مِنَ الأَرْضِ المُقَدَّسَةِ رَمْيَةً بِحَجَرٍ»

وأنّ النَبِيَّ ﷺ قال: «**وَاللهِ لَوْ أَنِّي عِنْدَهُ لَأَرَيْتُكُم قَبْرَهُ إِلَى جَنْبِ الطَّرِيقِ عِنْدَ الكَثِيبِ الأَحْمَرِ**» فيه استِحباب مَعرِفةِ قُبورِ الصّالِحِينَ لزِيارَتِها والقِيامِ بِحَقّها اهـ. وقال الحافظ الضِّياءُ: "حَدّثَنِي سالِمٌ التَلُّ قال: "ما رأَيتُ استِجابةَ الدُّعاءِ أسرَعَ منها عِندَ هذا القبر، وحَدّثَنِي الشّيخُ عبدُ الله بن يونُسَ المعروفُ بالأَرمِنِيِّ أنّه زارَ هذا القَبرَ وأنّه نامَ فرأَى في مَنامِه قُبّةً عِندَه وفيها شَخصٌ أسمَرُ فسَلم عليه وقال له: أنتَ مُوسَى نَبِيُّ الله؟ فقال: نعَم، فقلتُ: قل لي شَيئًا، فأَوْمَأَ إليّ بأربَعِ أصابِعَ ووصَفَ طُولَهُنّ، فانتَبَهْتُ ولم أَدْرِ ما قال، فأخبَرتُ الشّيخَ ذَيّالا بذلكَ فقال: يُولدُ لكَ أربَعةُ أولادٍ، فقلتُ: أنا قد تزَوَّجتُ امرأةً لَم أَقْرَبْها، فقال: تكُون غيرَ هذِه، فتزَوَّجتُ أخرَى فولَدَتْ لي أربَعةَ أولادٍ" انتهَى كلامُ الضِّياءِ.

وسببُ قولِ مُوسَى عليه السّلامُ: «**رَبِّ أَدْنِنِي مِنَ الأَرْضِ المُقَدَّسَةِ رَمْيَةً بِحَجَرٍ**» أنّ موسَى كان يُرِيدُ أنْ يُطهِّر بَيت المَقدِس مِن الكُفّار لمّا كانُوا مُستَولِينَ علَيها لكنّه ماتَ قَبل أنْ يَدخُلَها، وقد طلَبَ قبل ذلكَ مِن اللهِ تعالى أنْ يُدْنِيَه مِن الأرضِ المُقدَّسةِ ولو مِقدارَ رَمْيةٍ بحجَرٍ، فلمّا جاءَ أجَلُه قَرَّبَه اللهُ إليها وجعَل وفاتَه بمَكانٍ قَرِيبٍ مِن الأرض المقدَّسةِ، والأرضُ المُقدَّسة تَبدأُ مِن الجِبال التي بَعدَ أرِيحاءَ إلى بَيتِ المَقدِس" انتهَى كلامُ شيخِنا الهرريّ رحمه اللهُ تعالى ونفعَنا به.

(ج)
١٠) وقالَ أبُو الحسَنِ: حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنا حُجَيْنُ بْنِ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ وَهُوَ ابْنُ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْفَضْلِ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولَ اللهِ ﷺ: «**لَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي الحِجْرِ[1] وَقُرَيْشٌ تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَايَ، فَسَأَلَتْنِي عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ لَمْ أُثْبِتْهَا[2]، فَكُرِبْتُ كُرْبَةً مَا كُرِبْتُ مِثْلَهُ قَطُّ، فَرَفَعَهُ اللهُ لِي[3] أَنْظُرُ إِلَيْهِ، مَا يَسْأَلُونِي[4] عَنْ شَيءٍ إِلَّا أَنْبَأْتُهُمْ بِهِ. وَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ[5] فَإِذَا**

(ج) الصواب: أبو الحسين

---

(١) سبَق الكلامُ عليه في الحديث الأوّلِ.

(٢) أي لَم أشاهِدْها، وقيل: معناه لَم أحفَظْها لاشتِغالي بأمُورٍ أهَمَّ مِنها.

(٣) أي جعَل الله بقُدرَتِه بيتَ المَقدِس مكشوفًا للنّبِيّ النّبِيُّ ﷺ بحيث يَراهُ ويُعايِنُ تفاصِيلَه، وقال بعضُهم: معناهُ رفَعَ اللهُ الحُجُبَ الّتي تَمنَعُني مِن رؤية بَيت المَقدِس فرأيتُه. وفِعلُ اللهِ تعالى ذلك كسائِر أفعالِه عزّ وجلّ يستحيلُ عقلًا ونقلًا أنْ يكونُ بالمُباشَرة أو بالمُماسّة، بل يُوجِدُ اللهُ تعالى بقُدرَتِه مِن الحادِثاتِ ما يشاءُ، أمّا المُماسّةُ والمُباشَرةُ بالحرَكة والسّكُون ونحوُ ذلكَ فمِن صِفات الخَلقِ، والله تعالى مُنزَّهٌ عن ذلكَ كُلِه.

(٤) أي مُشرِكُو قُرَيشٍ.

(٥) أي مع جَمعٍ في لَيلةِ الإسراءِ، وهي غيرُ رؤيته ﷺ لبعضِهم في السَّماواتِ.

مُوسَى قَائِمٌ يُصَلِّي[١]، فَإِذَا رَجُلٌ ضَرْبٌ[٢] جَعْدٌ[٣] كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ[٤]، وَإِذَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَائِمٌ يُصَلِّي[٥] أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهًا عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ[٦]، وَإِذَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَائِمٌ يُصَلِّي[٧] أَشْبَهُ النَّاسِ بِهِ صَاحِبُكُمْ - يَعْنِي نَفْسَهُ - فَحَانَتِ الصَّلَاةُ فَأَمَمْتُهُمْ[٨]، فَلَمَّا فَرَغْتُ مِنَ الصَّلَاةِ قَالَ قَائِلٌ[٩]:

---

(١) في المَسجِد الأقصَى.

(٢) أي وسَطٌ مِن الرِّجالِ في الجِسم، وقيل: خَفيفُ اللَّحم.

(٣) سبَق الكلامُ عليه في الحديث الثّالث.

(٤) سبَق شرحُه في الحديث الثّالث.

(٥) في المَسجِد الأقصَى.

(٦) هو أبو مسعُودٍ عُروةُ بنُ مَسعودِ بنِ مُعَتِّبِ بنِ مالكٍ مِن بَني عَوفِ بنِ ثَقِيفٍ مِن قَيسِ عَيْلانَ. كانَ النَّبِيُّ ﷺ قَد انصرَفَ مِن ثَقِيفٍ فتبِعَه عُروةُ بنُ مَسعودٍ وأسلَم، فسألَهُ ﷺ أن يَرجِعَ إلى قومِه بالإسلام - وكان فيهِم محبَّبًا مُطاعًا - فرجَع إليهم وأظهَر إسلامَهُ ودَعاهم إليه، فرمَوه بالنَّبْلِ مِن كلِّ وَجهٍ فأصابه سَهمٌ فقتَله.

(٧) في المَسجِد الأقصَى.

(٨) أي صلَّى بهِم إمامًا.

(٩) هو جبريلُ أو غيرُه مِن الملائكةِ.

يَا مُحَمَّدُ، هَذَا مَالِكٌ صَاحِبُ النَّارِ[١] فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ فَبَدَأَنِي بِالسَّلَامِ[٢]».

١١) وقالَ أبُو الحَسَنِ[ه]: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ - وَاللَّفْظُ لِابْنِ عَبَّادٍ - قَالَا: حَدَّثَنَا أَبُو صَفْوَانَ أَخْبَرَنَا يُونُسُ عَنِ الزُّهْرِيّ قَالَ: قَالَ ابْنُ الْمُسَيّبِ: قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أُتِيَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ بِإِيلِيَاءَ[٣] بِقَدَحَيْنِ مِنْ خَمْرٍ[٤] وَلَبَنٍ، فَنَظَرَ إِلَيْهِمَا فَأَخَذَ اللَّبَنَ، فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَاكَ لِلْفِطْرَةِ[٥]، لَوْ أَخَذْتَ الْخَمْرَ غَوَتْ أُمَّتُكَ[٦]».

(ه) الصواب: أبو الحسين

١٢) وقالَ أبُو الحَسَنِ[و]: حَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ حَدَّثَنَا زَكَرِيَّاءُ عَنِ ابْنِ أَشْوَعَ عَنْ عَامِرٍ عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: قُلْتُ لِعَائِشَةَ: فَأَيْنَ

(و) الصواب: أبو الحسين

---

(١) أي المَلَكُ الكريمُ خازِنُ النّارِ.

(٢) تَعظِيمًا مِن مالكٍ عليه السّلامُ للنّبِيّ محمّد ﷺ وإكرامًا له.

(٣) هي بيتُ المَقدِس.

(٤) أي خَمرِ الجنّة، وسبَق الكلامُ على ذلك في الحديثِ الأوّل.

(٥) أي الدِّينَ.

(٦) أي لانْهَمَكَتْ أمّتُك في الشَرّ، مع أنّ الّذي حضَرَ عِندَه ﷺ كانَ مِن خَمرِ الجنّة اللذيذِ الطّاهِرِ الزَكِيّ الّذي لا يُسكِرُ.

قَوْلُهُ ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾[1] [النجم: ٨-١٠]؟

---

(١) الدُنُوّ في الأصلِ مَصدَرُ دَنا يَدْنُو أي يَقرُب، حِسًّا كان أو معنًى، أمّا التَدَلِّي فمصدَر تَدَلى يَتدَلى مِن كذا أي دَنا مِنهُ إلى غيرِه، وقد يكُون حِسيًّا ومَعنويًّا.
ومِثالُ الدُنُوِّ الحِسّيّ أنْ يُقالَ: "دَنَوتُ مِن المدِينةِ" أي قَرُبتُ مِنه مِن حيث المَسافة، ومِثال المَعنويّ أنْ يُقال: "دَنا فُلانٌ مِن التَّقوَى" أي قَرُبَ مِن بُلوغِ هذه المنزلةِ المعنويّةِ.
ومِثال التَدلي الحِسّيّ أنْ يُقالَ: "تدَلَّى زيدٌ مِن الشَّجَر" أي تعلَّقَ ونزَل مِنه إلى سُفلٍ، ومِثال المَعنويّ كقولِ الصّوفيّة: "مَرتبة التّدَلِّي" وهي منزِلة يبلغها العارِف باللهِ الزّاهِدُ حيثُ يتقرَّب فيها بالطّاعةِ إلى اللهِ بَعد بلوغِه في ارتقاءِ المَنازِل المعنويّةِ الغايةَ البعِيدةَ.
وقبل الكلامِ على الآية نقول: إنّ الأصلَ الأصِيلَ هو الإيمانُ باللهِ أي باعتقادِ ما يجِبُ له عزَّ وجل وما يجوزُ عليه وتَنزِيهِه تعالى عن مُشابَهةِ شيءٍ مِن الخَلقِ، فاللهُ تبارَك وتعالى لا يُشبِهُ الخَلقَ ولا بِوَجهٍ مِن الوُجوهِ، فليسَ هو جسمًا ولا مُتحيّزًا في مكانٍ، لأنّه لو كان جِسمًا لكان له أمثال كثِيرةٌ، ولو كان مُتحَيّزًا في مكانٍ كالعَرشِ أو غيرِه لكان له أمثال كثيرةٌ أيضًا، واللهُ تعالى مُتقدِّسٌ عن مُشابهةِ الخَلقِ. فمِن هنا يجِبُ اعتِقادُ أنّ معنَى قولِ الله تبارك وتعالَ: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ =

= ليس فيه تشبيهٌ للّهِ بخَلقِه، وقد صرَف العُلماء المعنَى في الآيتَين إلى أنّ جِبريلَ عليه السّلامُ دَنا دُنُوًّا حقيقيًّا مِن سيّدنا محمّد ﷺ فتَدلى إليهِ بَعد أنْ رجَعَ ﷺ إلى سِدرةِ المُنتهَى حيثُ ينتظِرُه جِبريلُ بَعد أنْ كان ﷺ وَصَل إلى مَكانٍ سَمِعَ فيه صَوتَ أقلامٍ تجرِي في الكِتابةِ على صُحفٍ، وكان ذلكَ صَوتَ استِنْساخِ بَعضِ الملائكةِ مِن اللوحِ المَحفُوظِ ما أَذِن اللهُ لهُم في نسْخِه في صُحُفِهم مِن الأقضِيَةِ، ثُمّ تدَلى جِبريلُ عليه السّلامُ مِن محمّدٍ ﷺ إذ دَنَا مِنه جبريلُ حتّى صارَ بينَهُما مِن المَسافةِ أي طُول قَوسَين عرَبيَّتَين كما حدَّدَه بعضُ المفسّرين.

وليسَ الأمرُ كما يَفترِيه بعضُ الكُفّار مِن أنّ اللهَ تعالى دَنا بِذاتِه دُنُوًّا مِن محمّدٍ ﷺ حتّى صار بَينَهُما كما بَين الحاجِب والحاجب مِن المسافةِ، فهذا كُفرٌ وضلال مُبينٌ لأنّ فيه إثباتَ المَسافةِ بين الله تعالى وخَلقِه، واللهُ تعالى لا يجوزُ عليه ذلك لأنّه موجودٌ أزلا بِلا كيفٍ ولا مَكانٍ بل هو خالِقُ الكيفيّاتِ والأماكِن كُلِها، وهو تعالى موجودٌ أزلا قبلَ وجودِ المخلوقاتِ كُلها بلا مَكانٍ ولا كيفٍ، ولم يَزْل سُبحانَه بعدَ خَلقِ المخلوقاتِ بلا مَكانٍ ولا جِهةٍ ولا كيفٍ، وهو عزَّ وجل غيرُ مُحتاجٍ إلى شىءٍ مِن خَلقِه، فلا يجُوز اعتقادُ القُربِ المكانِيّ في حَقّ اللهِ أي يَكفُر مَن يَعتقِدُ في حَقِّ اللهِ القُربَ المَسافِيّ.

والتّفسيرُ الصّحيحُ للآيتَين أنّ جبريلَ عليه السّلامُ دَنا مِن سيّدنا محمّدٍ ﷺ دُنوًّا حِسّيًا فلَم يَبْقَ بينَهُما إلا مَسافةٌ قدْرَ قوسَين أو أقَلَّ، وأمّا مَن فَسَّر هذا الدُنُوّ بدُنُو اللهِ مِن محمّدٍ معنويًّا بِلا مَسافةٍ فلا ضَرَرَ عليه =

= X بل هو مروِيٌّ عن جَعفرٍ الصّادِق رضي الله عنه لكنّه لَم يَثبُت عَنهُ، وكذلك ذهَب بعضُ العُلَماء إلى ذلكَ القولِ ولَم يَقصِدُوا الدُنُوّ الحِسِيّ المَكانِيّ والمسافِيّ الذي يكون بالحرَكةِ والانتِقالِ، إنّما قصَدُوا الدُنُوَّ المَعنوِيَّ، لكنّ التّفسِيرَ للآيتَين على الوَجهِ مرجوحٌ، والصّوابُ فيهِما كما قال المحدِّث المفسِّر القاضي شهابُ الدّين أحمدُ بنُ إسماعِيلَ الكورانِيّ الشافعِيُّ الحنَفِيُّ في «الكوثَر الجارِي إلى رِياضِ أحادِيث البُخارِي»: "اتّفقَتِ الرّواياتِ على أنّ ﴿قَابَ قَوۡسَيۡنِ﴾ قُربُ جِبريلَ عليه السّلامُ مِنهُ ﷺ، لأنّ القُربَ المَكانِيّ مِن اللهِ تَعالى مُحالٌ، هذا ممّا يَجِبُ الإيمانُ بِه" اهـ.

أمّا الرّواية الّتي ذكرَها البُخاريّ في «صحِيحِه» «وَدَنَا لِلْجَبَّارِ رَبِّ العِزَّةِ فَتَدَلَى حَتَّى كَانَ مِنْهُ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى» وفي روايةٍ: «وَدَنَا الجَبَّارُ رَبُّ العِزَّةِ فَتَدَلَى حَتَّى كَانَ مِنْهُ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى» فقد رَدَّها عدَدٌ مِن الحفّاظ كالحافظ عَبدِ الحَقّ فقال: "زادَ شَرِيكٌ زِيادةً مَجهولةً وأتى بألفاظٍ غَيرِ مَعروفةٍ اهـ. ونقَل الحافظ العسقلانيّ عن الخَطّابيّ استِبعادَها وقال: "ليسَ في هذا الكِتابِ يَعنِي صَحِيحَ البُخارِيّ حدِيثٌ أشنَعَ ظاهِرًا ولا أشنَعَ مَذاقًا مِن هذا الفصلِ، فإنّه يَقتضِي تحدِيدَ المَسافةِ بَينَ أحَدِ المذكُورَين وبَينَ الآخَر وتمِييزَ مَكانَ كُلّ واحِدٍ مِنهُما، هذا إلى ما في التدَلِي مِن التّشبِيه والتّمثِيل له بالشيءِ الّذي تَعلَّق مِن فَوقُ إلى أسفَلَ" ا.هـ.

وقال الحافظ ابنُ الجوزيّ حاكيًا عن الخطّابيّ أيضًا قولَه ونصُّه: "وما ذُكِر فيه مِن التدَلِي إمّا رأيُ أنَسٍ وإمّا مِن شَرِيكِ بنِ عبدِ الله بنِ أبي نَمرٍ، فإنّه كَثِيرُ التفَرُّد بمَناكِيرِ الألفاظِ. وقد رُوِي هذا الحديثُ عن أنَسٍ مِن غَيرِ طَرِيقِ شَرِيكٍ فلَم يُذكَر فيه هذه الألفاظُ الشّنِيعةُ، فكان ذلك ممّا يُقَوّي الظَنَّ أنّها صادِرةٌ مِن شَرِيكٍ. وفي هذا الحديثِ لَفْظةٌ أخرَى تفَرَّد بها شَرِيكٌ ولَم يَذكُرْها غيرُه وهي قوله: «فَقَالَ وَهُوَ مَكَانَه» والمَكانُ لا يُضافُ إلى اللهِ تعالى، وإنّما هو مَكانُ النَّبيّ ﷺ" اهـ. قُلتُ: على أنّ شريكًا لَم يَنسُبِ المَكانَ للهِ تعالى إلا أنّه عَبَّر بلَفظٍ هو تفرَّدَ بِه مِمّا قَد يُوهِم ذلكَ، كما أنّه إنْ ثبَتَ أنّ أنسًا رضي الله عنه قال بالدُنُوّ المعنوِيّ فقد سبَقَ أنْ بَيَّناه وأنّه لا يُصادِمُ عقيدةَ المُسلمِينَ وإنْ كان هو المرجوحَ في تفسِير هاتَين الآيتَين.

وقال ابنُ المُلقّن: "وقَد روَى حَدِيثَ الإسراءِ جَماعةٌ مِن الحفّاظِ المُتْقِنين كابنِ شِهابٍ وثابتٍ البُنانِيّ وقَتادةَ عن أنَسٍ، فلَم يأْتِ أحَدٌ مِنهُم بما أتَى بِه شَرِيكٌ، وشَرِيكٌ ليسَ بالحافظِ عِندَ أهلِ الحَدِيث" اهـ.

وقَد اقتصَرنا على هذا البيانِ في هذا الموضِع، فمَن أرادَ التوسُّع في هذا المَبحَثِ فلينظُر كتابَنا «**التّفسِيرَ الأسمَى لِقَولِه تَعالى**: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾».

قَالَتْ: «إِنَّمَا ذَاكَ جِبْرِيلُ ﷺ كَانَ يَأْتِيهِ فِي صُورَةِ الرِّجَالِ[١]، وَإِنَّهُ أَتَاهُ فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ[٢] فِي صُورَتِهِ الَّتِي هِيَ صُورَتُهُ[٣] فَسَدَّ أُفُقَ السَّمَاءِ[٤]».

١٣) وقالَ أَبُو الحَسَنِ(ز): حَدَّثَنِي أَبُو الرَّبِيعِ الزَّهْرَانِيُّ حَدَّثَنَا عَبَّادٌ وَهُوَ ابْنُ الْعَوَّامِ حَدَّثَنَا الشَّيْبَانِيُّ قَالَ: سَأَلْتُ زِرَّ بْنَ حُبَيْشٍ عَنْ قَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝﴾[٥] [النجم: ٩]، قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ مَسْعُودٍ «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى جِبْرِيلَ لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ[٦]».

(ز) الصواب: أبو الحسين

---

(١) أي يتشكَّلُ بصُورةِ بعضِ الرّجالِ مِن حيثُ الظّاهِرُ مِن غيرِ ءالةِ الذُّكورةِ، وكثيرًا ما كان يأتي بصُورة الصّحابيّ الجليلِ دِحية الكَلبِيّ.

(٢) أي في أجيادٍ، موضِعٍ معروفٍ بأسفلِ مكّةَ مِن شِعابِها.

(٣) أي على هيئتِه الأصليّة ونَشَر بعضَ أجنِحَتِه.

(٤) أي نَواحِيَها في رأيِ العَينِ.

(٥) سَبَق تفسيرُها في الحديثِ السّابِق.

(٦) وكان جِبريلُ عليه السّلامُ جالسًا على كُرسيّ في الفضاءِ بينَ السّماء والأرض، ويَتساقَط مِن أجنِحَتِه التّهاوِيلُ أي الألوانُ الكثيرةُ المُبهِرةُ للأبصارِ والدُرُّ والياقوتُ. قال بعضُ العلماء: بَين كُلّ جَناحَين منشُورَين مِن أجنِحَتِه مسافةٌ كما بَين المَشرِق والمَغرِب.

﴿ ومِن سُنَن ابنِ ماجهْ ﴾

١٤) قال أبو عَبدِ اللهِ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُوسَى عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ عَنْ أَبِي الصَّلْتِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَتَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عَلَى قَوْمٍ بُطُونُهُمْ كَالْبُيُوتِ فِيهَا الْحَيَّاتُ تُرَى**(١) **مِنْ خَارِجِ بُطُونِهِمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرَائِيلُ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ أَكَلَةُ الرِّبَا**».

١٥) وقال أبو عَبدِ اللهِ: حَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَهْضَمِيُّ حَدَّثَنَا زِيَادُ بْنُ الرَّبِيعِ حَدَّثَنَا عَبَّادُ بْنُ مَنْصُورٍ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَا مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي بِمَلَإٍ**(٢) **مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا كُلُّهُمْ يَقُولُ لِي: عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ بِالْحِجَامَةِ**(٣)».

---

(١) أي تُبصَرُ الحَيّاتُ.

(٢) أي جَمْعٍ.

(٣) فيه حَثٌّ له ﷺ على أن يأمُرَ أُمّته أمرَ إرشادٍ لا وجوبٍ إلى التّداوي بالحِجامةِ، والحِجامةُ بكَسر الحاء لا بضَمّها. ورُوِي عن النّبيّ ﷺ =
= أنه كان يَحتَجِمُ في رأسِه وبَين كتِفَيه وفي الأخدعَين، ويُحجَمُ المرءُ في الموضِع الّذي يَرجُو نَفعَه لاختِلافِ العِلَل، وقد ذُكِر عن المتقدّمين في العِلم أنّ حِجامةَ الأخدعَين على النُّقْرة لأدواءِ العينَين والرأسِ =

١٦) وقال أبو عَبدِ اللهِ: هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ بَشِيرٍ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ مُجَاهِدٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ وَجَدَ رِيحًا طَيِّبَةً فَقَالَ: «**يَا جِبْرِيلُ مَا هَذِهِ الرِّيحُ[1] الطَّيِّبَةُ؟**» قَالَ: «هَذِهِ رِيحُ قَبْرِ الْمَاشِطَةِ وَابْنَيْهَا وَزَوْجِهَا».

١٧) وقال أبو عَبدِ اللهِ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ

= والعنُقِ والظَّهر، وأنّ الحِجامة على الكاهِل نَفْعُها مِن داءِ الجسَد كُلِّه، وأنّ الحِجامة فوق القَحْف - العَظمِ فوقَ الدِّماغ - نَفعُها من السَّدَد وقُروح الفَخِذ واحتِباس دَمِ الحيض، قاله ابنُ بطّال. ويُرجَع في ذلك كُلِّه إلى الثِّقاتِ أهلِ الخُبرة في ذلك، فإنّ بعضَ النّاسِ تضرُّهم الحِجامةُ، كما أنّ العسَل يَضرُّ مَن غلَبَ عليه خَلْطُ الصَّفراءِ، ولذلكَ قال المفسِّرون في قولِه تعالى في شأنِ العَسل: ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ إنّ ذلك مُطلَقٌ وليس عامًّا في كُلِّ فردٍ، فلم يَقُل: إنّه شِفاءٌ لكُلِّ النّاس مِن كُلّ داءٍ ولكنّه في الجملة دواءٌ، وقَلَّ أنْ يوجَد مَعجُونٌ من معاجِين الأطبّاء القُدامَى إلّا وتَمامُه بالعسَل، والأشرِبةُ المتَّخَذة من العسَل نافعةٌ لأصحاب البلغَم والشُّيوخ المبرُودِينَ، ومنافِعُه كثيرةٌ جدًّا لا يُحصِيها إلّا اللهُ تعالى.

(١) أي الرّائحةُ.

١٨) حَدَّثَنَا الْعَوَّامُ بْنُ حَوْشَبٍ حَدَّثَنِي جَبَلَةُ بْنُ سُحَيْمٍ عَنْ مُؤْثِرِ بْنِ عَفَازَةَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: «لَمَّا كَانَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ لَقِيَ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى فَتَذَاكَرُوا السَّاعَةَ(١)، فَبَدَؤُوا بِإِبْرَاهِيمَ فَسَأَلُوهُ عَنْهَا فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مِنْهَا عِلْمٌ(٢)، ثُمَّ سَأَلُوا مُوسَى فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مِنْهَا عِلْمٌ، فَرُدَّ الْحَدِيثُ إِلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فَقَالَ: قَدْ عُهِدَ إِلَيَّ فِيمَا دُونَ وَجْبَتِهَا(٣)، فَأَمَّا وَجْبَتُهَا فَلَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ، فَذَكَرَ خُرُوجَ الدَّجَّالِ قَالَ: فَأَنْزِلُ(٤) فَأَقْتُلُهُ فَيَرْجِعُ

---

(١) أي الكلامَ على قِيامِها.

(٢) أي لا يَعلَمُ وَقتَ قِيامِ السّاعةِ على التّحديد، لأنّ هذا شيءٌ أخفاهُ الله تعالَى عَن خَلْقِه، قال عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾.

(٣) أي أُوحِي إليه بأنّه يَنزِلُ مِن السّماءِ إلى الأرضِ قبل قِيامِ السّاعةِ ووقوعِها على الكافِرين بغتةً، لأنّ السّاعة تقوم على الكافرين فجأةً في الزّمانِ الّذي لا يكونُ فيه مُؤمنُون في الأرض أحياءٌ، قال الله تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّيۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقۡتِهَآ إِلَّا هُوَۚ ثَقُلَتۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا تَأۡتِيكُمۡ إِلَّا بَغۡتَةٗ﴾. وسألَتْ يَهودُ أو قُرَيشٌ عن السّاعةِ متَى تكُون ومَتى يُرسيها الله أي يُظهِرُها فأنْزَلَ اللهُ ذلك، وقَد خَفِي عِلمُ السّاعةِ على مَن في السّماواتِ وهُم الملائكةُ وعلَى مَن في الأرضِ مِن إنسٍ وجِنٍّ.

(٤) أي مِن السّماءِ الثّانية إلى الأرضِ.

١٩) النَّاسُ إِلَى بِلَادِهِمْ فَيَسْتَقْبِلُهُمْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ(١) وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ(٢)، فَلَا يَمُرُّونَ بِمَاءٍ إِلَّا شَرِبُوهُ(٣) وَلَا بِشَيْءٍ إِلَّا

---

(١) أي يَخرُج قومٌ يأجُوجَ ومأجوجَ على النّاسِ، وهُم قومٌ كُفّارٌ مِن بَنِي ءادمَ. ورُوي في حديثٍ أنّ النّبيَّ ﷺ قالَ: «**بَعَثَنِي اللهُ تَعَالَى حِينَ أُسْرِيَ بِي إِلَى يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ فَدَعَوْتُهُمْ إِلَى دِينِ اللهِ وَإِلَى عِبَادَتِهِ فَأَبَوْا أَنْ يُجِيبُونِي**». لكن لَم يَصِحَّ في وَصفِهم أنّهُم قِصارُ القامةِ وأنّ أحدَهُم ينامُ على إحدَى أُذُنَيه ويتغطَّى بالأُخرى. وقَد حبسَهُم الصَّعبُ ذُو القرنَين الوَلِيُّ الصّالِحُ خَلفَ سَدٍّ عَظِيمٍ بينَ جبلَين خَفِيَ أمرُه علَينا. وفي «سُنَن ابنِ ماجهْ» مرفوعًا: «**إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ يَحْفِرُونَ كُلَّ يَوْمٍ، حَتَّى إِذَا كَادُوا يَرَوْنَ شُعَاعَ الشَّمْسِ قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمْ: "ارْجِعُوا فَسَنَحْفِرُهُ غَدًا" فَيُعِيدُهُ اللهُ أَشَدَّ مَا كَانَ، حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ مُدَّتُهُمْ وَأَرَادَ اللهُ أَنْ يَبْعَثَهُمْ عَلَى النَّاسِ حَفَرُوا، حَتَّى إِذَا كَادُوا يَرَوْنَ شُعَاعَ الشَّمْسِ قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمْ: "ارْجِعُوا فَسَتَحْفِرُونَهُ غَدًا إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى" وَاسْتَثْنَوْا، فَيَعُودُونَ إِلَيْهِ وَهُوَ كَهَيْئَتِهِ حِينَ تَرَكُوهُ، فَيَحْفِرُونَهُ وَيَخْرُجُونَ عَلَى النَّاسِ**» الحديثَ.

(٢) أي يُسرِعونَ النُّزولَ مِن كُلِّ الآكامِ والتِّلالِ.

(٣) وفي «صحيح مُسلِم» مرفوعًا: «**فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ**». وتُقدَّرُ اليومَ كميّة المياه الموجودة في البُحَيرة بأكثرَ مِن أربعةِ آلافِ مِليار ليترٍ.

أَفْسَدُوهُ، فَيَجْأَرُونَ إِلَى اللَّهِ[١]، فَأَدْعُو اللهَ أَنْ يُمِيتَهُمْ[٢]، فَتَنْتُنُ الْأَرْضُ مِنْ رِيحِهِمْ[٣]، فَيَجْأَرُونَ إِلَى اللَّهِ، فَأَدْعُو اللهَ فَيُرْسِلُ السَّمَاءَ بِالْمَاءِ فَيَحْمِلُهُمْ[٤] فَيُلْقِيهِمْ فِي الْبَحْرِ، ثُمَّ[٥] تُنْسَفُ الْجِبَالُ[٦] وَتُمَدُّ الْأَرْضُ مَدَّ الْأَدِيمِ[٧]، فَعُهِدَ إِلَيَّ[٨] مَتَى كَانَ ذَلِكَ كَانَتِ السَّاعَةُ مِنَ النَّاسِ كَالْحَامِلِ الَّتِي لَا يَدْرِي أَهْلُهَا مَتَى تَفْجَؤُهُمْ

---

(١) أي يَستغيثُ النّاسُ اللهَ أنْ يَكفِيَهُم شَرَّ يأجوجَ ومأجوجَ.

(٢) وفي «صحِيح مُسلِم» مرفوعًا: «**فَيُرْسِلُ اللهُ عَلَيْهِمُ النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ**»، والنَّغف دُودٌ يكونُ في أُنوفِ الإبِل والغنَمِ، وهي وإنْ كانت مُحتقَرةً إلّا أنّ إتلافَها شدِيدٌ.

(٣) أي تصِيرُ عَفِنةً مِن رائحةِ جِيَفِهم. وفي «سُنَن ابنِ ماجهْ» مرفوعًا: «**سَيُوقِدُ الْمُسْلِمُونَ مِنْ قِسِيِّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَنُشَّابِهِمْ وَأَتْرِسَتِهِمْ سَبْعَ سِنِينَ**»

(٤) أي سَيلُ الماءِ.

(٥) أي بَعدَ قِيامِ السّاعةِ على الكافِرين بنَفخِ إسرافيلَ في الصُّورِ.

(٦) أي تُفَتَّتُ.

(٧) أي تُبسَطُ فتصِيرُ مَلساءَ كالجِلدِ المَدبوغِ الّذي لا نُتوءَ فيه، فلا يكونُ في الأرضِ المُبدَّلةِ ارتفاعٌ ولا انخفاضٌ.

(٨) أي أُوحِي إليه.

بِوِلَادَتِهَا[١]». قَالَ الْعَوَّامُ: «وَوُجِدَ تَصْدِيقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللهِ تَعالَى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ﴾.

ومِن سُنَن أبي داوُد

٢٠) قالَ أبُو داودَ: حَدَّثَنَا عَاصِمُ بْنُ النَّضْرِ حَدَّثَنَا الْمُعْتَمِرُ سَمِعْتُ أَبِي حَدَّثَنَا قَتَادَةُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: لَمَّا عُرِجَ بِنَبِيِّ اللهِ ﷺ فِي الْجَنَّةِ أَوْ كَمَا قَالَ: عُرِضَ لَهُ نَهْرٌ حَافَتَاهُ الْيَاقُوتُ الْمُجَيَّبُ[٢] أَوْ قَالَ: الْمُجَوَّفُ، فَضَرَبَ الْمَلَكُ الَّذِي مَعَهُ يَدَهُ[٣] فَاسْتَخْرَجَ مِسْكًا، فَقَالَ مُحَمَّدٌ ﷺ لِلْمَلَكِ الَّذِي مَعَهُ: «**مَا هَذَا؟**» قَالَ: الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ[٤].

---

(١) أي كَما أنَّ الحامِلَ تَفجأُ أهلَها بوَقتِ ولادتِها الّذي يَخفَى عليها وعليهِم على التّعيين، فكذلكَ يَخفَى على النّاس جميعًا وقتُ قِيامِ السّاعةِ على التّعيين، فلا تقومُ السّاعةُ إلّا بَغتةً.

(٢) أي المُجوَّفُ كالجَيب.

(٣) أي أدخلَها في النَّهَر.

(٤) وجاءَ فِي صِفَتِه في حديثٍ عند ابن ماجهْ مرفوعًا: «**الْكَوْثَرُ نَهَرٌ فِي الْجَنَّةِ حَافَتَاهُ مِنْ ذَهَبٍ، مَجْرَاهُ عَلَى الْيَاقُوتِ وَالدُّرِّ، تُرْبَتُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَمَاؤُهُ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ وَأَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ الثَّلْجِ**».

٢١) وقالَ أَبُو داودَ: حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُصَفَّى حَدَّثَنا بَقِيَّةُ وَأَبُو الْمُغِيرَةِ قَالَا: حَدَّثَنَا صَفْوَانُ حَدَّثَنِي رَاشِدُ بْنُ سَعْدٍ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ جُبَيْرٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَمَّا عُرِجَ بِي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمُشُونَ**[١] **وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ**[٢] **وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ**[٣]».

---

(١) أي يَخدِشُون.

(٢) أي يَغتابُون المُسلمِينَ بغَير حَقٍّ. وقَد تمسَّك بظاهِر هذا الحديثِ مَن قال مِن العُلَماء في الغِيبة المحرَّمة إنّها مِن الكبائِر مُطلَقًا، وفَصَّل بعضُهم فقال: إنّها إنْ كانتْ غِيبةً للأتقِياءِ فهي كبِيرةٌ، أمّا إنْ كانَتْ في غَيرِهم فهي ذنبٌ مِن الصّغائِر، وهذا هو الصّوابُ. فما نقَله القُرطبِيّ مِن أنّها كبِيرةٌ مُطلَقًا بالإجماع غَيرُ سَدِيدٍ، لكِنّ المُسلِمَ الفاسِقَ إذا اغتِيبَ بغَير حَقٍّ إلى حَدّ الإفحاشِ كان اغتِيابُه كبيرةً، وذلك كأنْ يُبالَغَ في ذِكر مَساوئِه على غيرِ وَجهِ التّحذِير بل لمُجرَّد التفكُّه، وعليه يُحمَلُ قولُه ﷺ: «**إِنَّ مِنْ أَرْبَى الرِّبَا الِاسْتِطَالَةَ فِي عِرْضِ الْمُسْلِمِ بِغَيْرِ حَقٍّ**» فجاءَ وصفُها بأنّها مِن أربَى الرّبا أي أنّها في شِدَّة إثْمِها شبِيهةٌ بأشَدِّ الرّبا.

(٣) بغَير حَقٍّ.

﴾ ومِن سُنَن التّرمذِيّ ﴿

٢٢) قالَ أبُو عِيسَى: حَدَّثَنَا أَبُو حَصِينٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ يُونُسَ كُوفِيٌّ حَدَّثَنَا عَبْثَرُ بْنُ القَاسِمِ حَدَّثَنَا حُصَيْنٌ هُوَ ابْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ ﷺ جَعَلَ يَمُرُّ بِالنَّبِيِّ وَالنَّبِيَّيْنِ وَمَعَهُمُ القَوْمُ[١] وَالنَّبِيِّ وَالنَّبِيَّيْنِ وَمَعَهُمُ الرَّهْطُ[٢] وَالنَّبِيِّ وَالنَّبِيَّيْنِ وَلَيْسَ مَعَهُمْ أَحَدٌ[٣] حَتَّى مَرَّ بِسَوَادٍ عَظِيمٍ[٤] فَقُلْتُ: «**مَنْ هَذَا**»؟ قِيلَ: مُوسَى وَقَوْمُهُ، وَلَكِنِ ارْفَعْ رَأْسَكَ فَانْظُرْ، قَالَ: «**فَإِذَا هُوَ سَوَادٌ عَظِيمٌ قَدْ سَدَّ الأُفُقَ مِنْ ذَا الجَانِبِ وَمِنْ ذَا الجَانِبِ، فَقِيلَ هَؤُلَاءِ أُمَّتُكَ وَسِوَى هَؤُلَاءِ مِنْ أُمَّتِكَ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ**[٥]»، فَدَخَلَ[٦] وَلَمْ

---

(١) أي الجماعةُ الكثيرةُ.

(٢) أي الجماعةُ القلِيلةُ، وهي ما دُونَ العشَرة، وقيل غيرُ ذلكَ.

(٣) لأنّه لَم يُؤمِن به أحَدٌ.

(٤) أي عددٍ كبيرٍ مِن النّاسِ.

(٥) أي لا يُشَدَّدُ عليهم ولكنّ عَرضَ الأعمالِ وأخذَ الصُّحفِ يحصُل لَهُم.

(٦) أي النّبيُّ ﷺ.

يَسْأَلُوهُ[١] وَلَمْ يُفَسِّرْ لَهُمْ فَقَالُوا: نَحْنُ هُمْ[٢]، وَقَالَ قَائِلُونَ: هُمْ أَبْنَاءُ الَّذِينَ وُلِدُوا عَلَى الفِطْرَةِ وَالإِسْلَامِ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «**هُمُ الَّذِينَ لَا يَكْتَوُونَ[٣] وَلَا يَسْتَرْقُونَ[٤] وَلَا يَتَطَيَّرُونَ[٥] وَعَلَى رَبِّهِمْ**

---

(١) أي الصّحابةُ.

(٢) أي السَّبعُونَ أَلْفًا.

(٣) أي لا يَطلُبون فِعلَ الكَيّ لَهُم، والكَيُّ يكونُ بِنَحو حدِيدةٍ مُحمّاةٍ بالنّارِ وهو مَعروفٌ في العلاج، ومعناهُ لا يَعتقِدُون أنّ الشِّفاءَ مِن خَلْقِ الكَيّ كما كان عليه اعتقادُ أهلِ الجاهِليّة، وقال بعضُهم: مَعناهُ لا يَكتوُون إلا عِندَ الضّرُورة معَ اعتِقاد أنّ الشِّفاءَ مِن اللهِ.

(٤) أي هؤلاءِ السّبعُون ألفًا مِن جُملةِ مَن لا يَطلُبون الرُّقْيةَ الجاهِليّة الفاسِدةَ الممنُوعةَ ولا يَعملُون بها، فقد كانوا في الجاهِليّة يَسْتَرْقُون بأنواعٍ مِن السِّحر والأباطيل، والرُّقْيةُ هي التّعوِيذ. وقال ابنُ بطّال: "فأمّا الاسترْقاءُ بكِتابِ الله والتعوذُّ بأسمائِه وكَلِماته فقد فعَلَه الرّسُول وأمَرَ به ولا يَخرُج ذلك مِن التوكُّل على الله، ولا يُرجَى في التشَفّي به إلا رِضَى اللهِ" اهـ.

(٥) أي لا يَعملُون بالطِّيَرة. والطِّيَرة في الأصلِ التّشاؤُم بالشىء، وذلك أنّ العرَب كانت في الجاهِليّة تُنَفِّرُ الطّيرَ وتَزجُرها، فإذا مَرّتِ الطّيرُ مِن اليَمِين إلى اليسار خرَج أحدُهم في حاجَتِه وإلّا تشاءَم ولَم يَخرُج، حتّى إنّهم صارُوا يَتطيَّرُون بِغَير الطُّيور أيضًا كالظِّباء.

يَتَوَكَّلُونَ[١]»، فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ فَقَالَ: أَنَا مِنْهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»، ثُمَّ قَامَ آخَرُ فَقَالَ: أَنَا مِنْهُمْ؟ فَقَالَ: «**سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ**».

٢٣) وقالَ أبُو عِيسَى: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: «فُرِضَتْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ الصَّلَوَاتُ خَمْسِينَ ثُمَّ نُقِصَتْ حَتَّى جُعِلَتْ خَمْسًا، ثُمَّ نُودِيَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّهُ لَا يُبَدَّلُ القَوْلُ لَدَيَّ[٢]، وَإِنَّ لَكَ بِهَذِهِ الخَمْسِ خَمْسِينَ[٣]».

---

(١) أمّا ما جاء في الحديثِ: «**إِنَّ الرُّقَى وَالتَّمَائِمَ وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ**» فالرُّقَى هنا الرُّقْية التي فيها اسمُ صنَمٍ أو شَيطانٍ أو كلامٌ كُفريٌّ أو غيرُه ممّا يَحرُم شرعًا. والتَّمائِمُ جَمعُ تَميمةٍ وهي خَرَزاتٌ كانت تُعَلِّقُها النِّساءُ في الجاهليّة بأعناقِ أولادهِنّ يَزعُمْنَ أنّها تَدفَعُ العَينَ والأذَى بِنَفْسِها، وأما التِّوَلةُ فهي خَيطٌ كانوا يَقرؤُونَ فيه السِّحرَ أو هو قِرطاسٌ يَكتُبون فيه شيئًا مِن السِّحر لتَحبيب النِّساء بقُلوبِ الرِّجال أو تَحبيب الرِّجال بالنِّساء.

(٢) أي ما قضَيتُ علَيكُم مِن الفرائِض لا تَبدِيلَ له. وقال بعضُهم: معناهُ لا تبدِيل لِما قضَيتُ مِن أنّ في الخَمسِ ثوابَ الخمسينَ.

(٣) أي ثوابَ الخمسِينَ.

٢٤) وقالَ أبُو عِيسَى: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أُتِيَ بِالبُرَاقِ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ مُلْجَمًا[١] مُسْرَجًا[٢] فَاسْتَصْعَبَ عَلَيْهِ[٣]، فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: «أَبِمُحَمَّدٍ تَفْعَلُ هَذَا؟! فَمَا رَكِبَكَ أَحَدٌ أَكْرَمُ عَلَى اللهِ مِنْهُ[٤]»، فَارْفَضَّ عَرَقًا[٥].

٢٥) وقالَ أبُو عِيسَى: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ عَمْرِو ابْنِ دِينَارٍ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾[٦] [الإسراء: ٦٠]، قَالَ: «هِيَ رُؤْيَا عَيْنٍ أُرِيَهَا النَّبِيُّ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ إِلَى بَيْتِ المَقْدِسِ».

---

(١) أي مشدُودًا عليه اللِّجامُ وهو ما يُوضَع في فَمِ الدابّة.

(٢) أي موضوعًا علَيه السَّرْجُ مُهيّئًا للرُّكوب.

(٣) أي اضْطَرب اضطرابًا شدِيدًا فصارَ صَعْبَ الرُّكوب مُستعصِيًا. وقَد فعل البُراقُ ذلكَ مَهابةً للنبِيّ ﷺ وتِيْهًا ودَلالًا وفرحًا به ﷺ لا إبايةً وامتناعًا.

(٤) أي مِن محمّد ﷺ.

(٥) أي سالَ مِنهُ العرَقُ وتَرشَّش.

(٦) وأكثرُ المُفسّرينَ على أنّ المُرادَ بذلكَ ما رأى النَّبِيُّ ﷺ ليلةَ المِعراجِ مِن عَجائبِ المخلوقاتِ والآياتِ الباهِراتِ، والعرَبُ تقولُ: "رأيتُ بِعَينِي =

٢٦) وقالَ أبُو عِيسَى: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي زِيَادٍ حَدَّثنَا سَيَّارٌ حَدَّثنا عَبْدُ الوَاحِدِ بْنُ زِيَادٍ عَنْ عَبدِ الرَّحْمَنِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنْ القَاسِمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَقْرِئْ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلَامَ وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ عَذْبَةُ المَاءِ، وَأَنَّهَا قِيعَانٌ**[١]**، وَأَنَّ غِرَاسَهَا سُبْحَانَ اللهِ وَالحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ**[٢]».

٢٧) وقالَ أبُو عِيسَى: حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ بُكَيْرٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنْ يَحْيَى بْنِ عَبَّادِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَذَكَرَ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى، قَالَ: «**يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّ الفَنَنِ**[٣] **مِنْهَا مِائَةَ سَنَةٍ أَوْ يَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا مِائَةُ رَاكِبٍ، فِيهَا فَرَاشُ الذَّهَبِ، كَأَنَّ ثَمَرَهَا الْقِلَالُ**».

= رُؤيةً ورُؤيا"، وكونُ ذلكَ فِتنةً للنّاسِ أنّ النّبيّ ﷺ كان أخبرَ به فأنكرَ بعضُهم ذلكَ وكذّبوه والعياذُ باللهِ.

(١) أي أراضٍ مُستويةٌ مغرُوسةٌ.

(٢) أي مَن قال تِلكَ الكلِماتِ الكريماتِ بنيّةٍ حسَنةٍ نبتَتْ له شجَرةٌ في الجنّة، وكُلّ شجَرِ الجنّة ساقُه مِن ذهبٍ.

(٣) أي غُصنِها، والجَمعُ أفنانٌ.

٢٨) وقالَ أبُو عِيسَى: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ مُجَالِدٍ عَنْ الشَّعْبِيّ قَالَ: لَقِيَ ابْنُ عَبَّاسٍ كَعْبًا بِعَرَفَةَ فَسَأَلَهُ عَنْ شَيءٍ فَكَبَّرَ حَتَّى جَاوَبَتْهُ الجِبَالُ[١]، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّا بَنُو هَاشِمٍ، فَقَالَ كَعْبٌ: إِنَّ اللهَ قَسَمَ رُؤْيَتَهُ وَكَلَامَهُ بَيْنَ مُحَمَّدٍ وَمُوسَى[٢] فَكَلَّمَ

---

(١) أي كبَّر تَكبِيرةً مُرتِفعًا بِها صَوتُه حتّى جاوبَتْه الجِبالُ صَدًى.

(٢) أي أرَى اللهُ ذاتَه محمّدًا ﷺ وأسمَعَ كلامَه الذّاتِيَّ مُوسَى ﷺ، وذاتُ اللهِ تعالَى لا يُشبِهُ ذواتَ المخلوقاتِ وكلامُه تعالَى لا يُشبِهُ كلامهُم. وليسَ معنى «قَسَمَ» أنّ صِفةً مِن صفاتِ اللهِ يَجوزُ عليها التجزُّؤ، حاشا لله، فصفاتُ الله تعالَى كلُّها أزليّةٌ أبديّةٌ واجبةٌ لله تعالَى لا يجوزُ عليه عزَّ وجلَّ أنْ تَفنَى صِفةٌ مِن صفاتِه كما أنّه لا يجوزُ عليه عزّ وجلّ أنْ تحدُثَ له صِفةٌ، إذ التغيُّرُ مِن أماراتِ الحدُوثِ، والحدُوث على الله مُحالٌ.

ولَم يَسمَعْ كلامَ اللهِ تعالَى في الدُّنْيا إلا ثَلاثةٌ: محمّدٌ وموسَى صلَّى اللهُ عليهِما وسلَّمَ وجِبريلَ علَيهِ سَلامُ اللهِ، وقيل: ءادَمُ كذلكَ سَمِعَ. أمّا يومَ القِيامةِ فجَمِيع العِبادِ يَسمَعُون كلامَ اللهِ الّذي لا يُشبِهُ كلامَ أحَدٍ مِن العالَمِينَ، فالمؤمِنُ والكافِرُ كُلٌّ يَسمَعُ كلامَ اللهِ ذلك اليومَ، فالّذِين يَسمَعُون كلامَ اللهِ وهُم مَرضِيُّونَ عِندَ اللهِ مَقبُولون لدَيه وهُم الأتقياءُ يَحصُل لهُم مِن الفرَحِ والسُّرورِ ما لا يُوصَفُ، وأما المغضوبُ عليهم أي الكُفّارُ فلا يَشعُرونَ بأمْنٍ بل يَشعُرونَ بِخَوفٍ عَظِيمٍ وقلَقٍ مَتِينٍ لا يُوصَف، وكُلٌّ يَفهَمُ مِن كلامِ اللهِ السُّؤالَ عمَّا فعَلَ بالنِّعَمِ التي أعطاهُ اللهُ إيّاها، فيُسَرُّ المؤمنُ التقيُّ، ولا يُسَرُّ الكافرُ لأنهُ لا حَسنةَ لهُ في الآخرةِ.

مُوسَى مَرَّتَيْنِ(١) وَرَآهُ مُحَمَّدٌ مَرَّتَيْنِ(١). قَالَ مَسْرُوقٌ: فَدَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ فَقُلْتُ: هَلْ رَأَى مُحَمَّدٌ رَبَّهُ؟ فَقَالَتْ: «لَقَدْ تَكَلَّمْتَ بِشَيْءٍ

(١) أي أسمَعَ اللهُ موسَى ﷺ كلامَه الأزليَّ بغَير حرفٍ ولا صوتٍ كما أنّ المؤمنِينَ يرَون ذاتَ الله وهُم في الآخِرة واللهُ تعالَى بلا مَكانٍ ولا كيفٍ ولا جهةٍ، وسَماعُ كلامِ الله تعالَى الذاتيّ جائزٌ لأنّ العَقلَ لا يُحِيلُ سَماعَ ما ليسَ بحَرفٍ ولا صَوتٍ، فكان مِن الجائز أنْ يَسمَع موسَى عليه السّلامُ كَلامَ الله تعالى القَديمَ ويَفهَمَ مِنه ما فَهِمَ. وبعبارةٍ أُخرَى يقال: أزالَ اللهُ عن سيّدنا موسَى ﷺ المانِعَ ومَكّنَه مِن سَماعِ كلامِ اللهِ القَديم، ثُمّ حَجَب عن مُوسَى سماعَ كلامِه تعالَى فعادَ موسَى إلى حالِه الأوّلِ، وهذا التغَيُّر هو في حالِ موسَى ولا يَطرَأُ على اللهِ تغَيُّر في ذاتِه أو صِفاتِه.
وليسَ معنَى ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ أنّ اللهَ ابتدأَ الكلامَ بَعد أنْ كان ساكِتًا ولا أنّه كَلَّمَ موسَى ثُمّ انقطَعَ كلامُه تعالَى وسكَت، تعالى الله عن ذلك علُوًّا كبِيرًا. فكلامُه تعالَى ليسَ بحَرفٍ ولا صَوتٍ ولا لُغةٍ، وليس مُبتدَأً ولا مختَتَمًا ولا مُتَجزِّأً ولا مُتبعِّضًا ولا يتخلَّلُهُ انقطاعٌ، بل هو صِفَةٌ له أزليّةٌ أبديّةٌ وكلامٌ واحِدٌ بلا فَمٍ ولا لِسانٍ ولا شِفاهٍ ولا لهاةٍ ولا لُغاتٍ، وكما أنَّ ذاتَ الله لا يُشبِهُ الذَّواتِ فكلامُه لا يُشبِهُ كلامَ المخلوقينَ ولا بِوَجهٍ مِن الوُجوه، وقَد نَقَل **الإجماعَ على كُفرِ مَن شبَّه كلامَ اللهِ بكلامِ الخَلقِ** الإمامُ أبو بكرٍ الصِّقِليُّ في كتابه «مسألةِ الشَّارِع في القُرءان». =

= وهُنا ينبغِي التّحذيرُ مِن روايةٍ في بعض كُتب التّفسِير فيها أنّ اللهَ يَسألَ يوم القيامة "لِمَن المُلكُ اليومَ" ثُمّ هو يَجِيبُ نَفْسَه "للهِ الواحِدِ القهّار"، فهذه الرّوايةُ غيرُ صَحِيحةٍ وقد نَصّ على رَدِّها الفَخر الرّازي في تفسيره فقال: "قال أهلُ الأصُولِ: هذا القَولُ ضَعِيفٌ" اهـ. بل مَن يَفهَم مِن ذلكَ أنّ الله تعالَى يتكلَّمُ ثُمّ يَسكُتُ ثُمّ يتكلَّمُ فقد وصفَ الله بصِفاتِ البشَر مِن السُّكوتِ والآفةِ وهذا كُفرٌ مُعارِضٌ لدِين الإسلام، مُخالِفٌ للعَقل ومُصادِمٌ للنّقل، والصّوابُ أنّ مَلَكًا يُنادِي يومَ القيامةِ بأمرِ الله "لِمَنِ المُلكُ اليوم" ثُمّ الملَكُ هو يُجِيبُ "للهِ الواحِدِ القَهّار"، ويَشهَدُ لذلك ما رَواهُ أبو نُعيمٍ في «الحِلية» بسنَدِه إلى ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهُما قال: «فيُنادِي المُنادِي: لِمَن المُلْكُ اليَومَ؟ للهِ الواحِدِ القَهّار». وقال المفسّر النّحوي السَّمِينُ الحلبيّ في «عُمدة الحُفّاظ»: "وقد رُوِي أنّه يُنادِي مُنادٍ: لِمَن المُلكُ اليومَ؟ فيُجابُ بأنّه للهِ الواحِد القَهّار كما صَرَّحَتْ به الآيةُ الكَرِيمةُ ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾" اهـ. ونصَرَ هذا القولَ مِن ناحيةِ البلاغةِ والنَّحوِ أبو حَيّان الأندلسيّ في «البحر المحيط».

(١) معناهُ أزالَ اللهُ تعالَى عن قَلبِ النّبِيّ ﷺ المانِعَ فرأَى اللهَ تعالَى بقَلْبِه - ولا يُقالُ رءاهُ فِي قَلْبِه - ومعناهُ جعَلَ اللهُ للنّبِيّ ﷺ قُوةَ الرُّؤيةِ بقلبِهِ فرأَى الرّسولُ ﷺ رَبَّه بِقَلْبِه ولَم يَرَهُ بِعَيْنَي رأسِه لأنّ اللهَ تعالَى لا يُرَى في الدُّنيا بالعَينِ، ولو كان يَراهُ أحَدٌ بالعَينِ في الدُّنيا لكانَ رءاه سَيِّدُنا محمّد ﷺ ولذلك قال رسولُ الله ﷺ: «**إنَّكُمْ لَنْ تَروا رَبَّكُم حَتَّى تَموتُوا**» رواه مُسلِم، كما يُفهَم ذلك أيضًا مِن قولِه تعالَى لسيّدنا موسَى ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾. =

قَفَّ لَهُ شَعْرِي[١]»، قُلْتُ: رُوَيْدًا[٢]، ثُمَّ قَرَأْتُ ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٨]، قَالَتْ: «أَيْنَ يُذْهَبُ بِكَ[٣]؟! إِنَّمَا هُوَ

= وقد رُوِي أنّه قِيل لرَسولِ الله ﷺ: هل رَأيتَ رَبَّك لَيلةَ المِعراجِ فقال: «سُبْحَانَ اللهِ سُبْحَانَ اللهِ، رَأَيْتُهُ بِفُؤَادِي وَمَا رَأَيْتُهُ بِعَيْنِي» وهذا ضَعِيفٌ لَم يَثبُت.

وقال الإمامُ مالِك رضي الله عنه: "لا يُرَى الباقي بالعَينِ الفانِية، وإنّما يُرَى بالعَين الباقِية في الآخِرة" اهـ. أي بِعُيون أهلِ الجنّة الّتي لا يَلحَقُها الفَناءُ لأنّهم لا يَموتون أبَدَ الآبدِين.

وأما قولُ بعضِ أهلِ السُنّة إنّه ﷺ رأَى رَبَّه ليلةَ المِعراجِ بِعَينَي رأسِه فهذا قولٌ ضَعِيفٌ، لكن مَن قالَه لا يُبدَّع ولا يُفسَّق لأنه قال بِهِ جَمعٌ مِن السَّلَف الصالِحِين رضي الله عنهُم وأرضاهُم، فمَن قالَ بذلك يقال له: هذا القولُ مَرجوحٌ والقولُ الراجِحُ أنّه رءاهُ بِفُؤادِه أي بقَلْبِه لا بِعَينَيهِ كما ثبت ذلك عن أبي ذَرٍّ الغِفاريّ رضي الله عنه قال: «رَءَاهُ بِقَلْبِهِ وَلَمْ يَرَهُ بِعَيْنِهِ»، ونحن على هذا القَول.

(١) أي قامَ مِن الفزَع لذلكَ الكلامِ، وهو عبارةٌ عن إنكارِها علَيه مقالتَه.

(٢) أي ارفُقي ولا تَعجَلي حتّى أكلِّمَكِ.

(٣) أي أينَ يذهَبُ بِكَ فهمُكَ للآيةِ، والمعنَى في الاستِدلالِ بهذا النَصِّ على ما تقولُه.

جِبْرِيلُ[١]، مَنْ أَخْبَرَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَأَى رَبَّهُ[٢] أَوْ كَتَمَ شَيْئًا مِمَّا أُمِرَ بِهِ[٣] أَوْ يَعْلَمُ الخَمْسَ الَّتِي قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾[٤] [لقمان: ٣٤] فَقَدْ أَعْظَمَ الفِرْيَةَ[٥]، وَلَكِنَّهُ رَأَى جِبْرِيلَ لَمْ يَرَهُ فِي صُورَتِهِ[٦] إِلَّا مَرَّتَيْنِ: مَرَّةً عِنْدَ سِدْرَةِ المُنْتَهَى وَمَرَّةً فِي جِيَادٍ[٧] لَهُ سِتُّمائَةِ جَنَاحٍ قَدْ سَدَّ الأُفُقَ».

﴾ ومِن سُنَنِ النَّسائيّ ﴿

٢٩) قالَ أَبُو عَبدِ الرَّحمنِ: أَخْبَرَنَا عَمْرُو بْنُ هِشَامٍ حَدَّثَنَا مَخْلَدٌ عَنْ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ أَبِي مَالِكٍ حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ

---

(١) أي المُرادُ بالبَعضِ مِن الآيةِ الكُبرَى الّتي رءاها هو جِبريلُ عليه السّلامُ حِينَ أبصرَه رسولُ الله ﷺ على صورتِه الأصليّة للمرّة الثانيةِ.

(٢) أي بعَينَي رأسِه في الدُّنيا.

(٣) أي مِمّا أُمِر بإظهارِه وتبلِيغِه.

(٤) ونصُّ الآيةُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾.

(٥) أي الكَذِب، يُقال: فرَى الشّيءَ يَفْرِيه فَرْيًا وافتَراه يفتَرِيه افتِراءً إذا اخْتَلَقَه.

(٦) أي على هيئتِه الأصليّة ناشِرًا جَناحَين مِن أجنِحتِه السِّتمائةِ.

(٧) ويُقالُ له أجيادٌ أيضًا، موضِعٌ معروفٌ بأسفلِ مكّةَ مِن شِعابِها.

مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أُتِيتُ بِدَابَّةٍ فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ خَطْوُهَا عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهَا، فَرَكِبْتُ وَمَعِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَسِرْتُ فَقَالَ: انْزِلْ فَصَلِّ، فَفَعَلْتُ فَقَالَ: أَتَدْرِي أَيْنَ صَلَّيْتَ؟ صَلَّيْتَ بِطَيْبَةَ(١) وَإِلَيْهَا الْمُهَاجَرُ، ثُمَّ قَالَ: انْزِلْ فَصَلِّ فَصَلَّيْتُ، فَقَالَ: أَتَدْرِي أَيْنَ صَلَّيْتَ؟ صَلَّيْتَ بِطُورِ سَيْنَاءَ(٢) حَيْثُ كَلَّمَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مُوسَى(٣) عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثُمَّ قَالَ: انْزِلْ فَصَلِّ فَنَزَلْتُ فَصَلَّيْتُ، فَقَالَ: أَتَدْرِي أَيْنَ صَلَّيْتَ؟ صَلَّيْتَ بِبَيْتِ لَحْمٍ(٤) حَيْثُ وُلِدَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثُمَّ دَخَلْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ فَجُمِعَ لِيَ الْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فَقَدَّمَنِي جِبْرِيلُ حَتَّى أَمَمْتُهُمْ(٥)، ثُمَّ صُعِدَ

---

(١) وهي المدِينةُ المُنوَّرةُ.

(٢) وسَيْناءُ بفَتح السِّين وكسرِها.

(٣) أي حَيثُ كان مُوسَى ﷺ لَمّا سَمِعَ كلامَ اللهِ الّذاتِيَّ الّذي ليسَ حرفًا ولا صوتًا ولا لغةً، أمّا اللهُ تعالَى فلا يجوزُ عليه التحيُّز في مكانٍ، لا بطُورِ سيناءَ ولا بغيرِها مِن الأماكِن، فهو تعالَى كان قَبل خَلقِ المخلوقاتِ موجودًا أزلًا بلا مَكانٍ ولا زَمانٍ ولَم يَزَلْ بعدَ خَلقِ المكانِ والزّمانِ والعالَمِ بأسرِه بلا مَكانٍ ولا يجري عليه زَمانٌ، ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾.

(٤) وهي قريةٌ بالقُرب مِن بَيتِ المَقدِس.

(٥) أي صلَّى بهِم إمامًا.

بِي إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا[١] فَإِذَا فِيهَا آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثُمَّ صُعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ فَإِذَا فِيهَا ابْنَا الْخَالَةِ عِيسَى وَيَحْيَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، ثُمَّ صُعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ فَإِذَا فِيهَا يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثُمَّ صُعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ فَإِذَا فِيهَا هَارُونُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثُمَّ صُعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ فَإِذَا فِيهَا إِدْرِيسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثُمَّ صُعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ فَإِذَا فِيهَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثُمَّ صُعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَإِذَا فِيهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثُمَّ صُعِدَ بِي فَوْقَ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ فَأَتَيْنَا سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى[٢] فَغَشِيَتْنِي

---

(١) أي القُرْبَى بالنِّسبة إلى الأرضِ وهي السّماءُ الأُولى، وخازِنُها ملَكٌ كريمٌ اسمُه إسماعيلُ. وقد جاء في الحديثِ عند الطّبرانيّ في «المعجم الكبير» مرفوعًا: «**إِنَّ فِي السَّمَاءِ مَلَكًا يُقَالُ لَهُ إِسْمَاعِيلُ عَلَى سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ كُلُّ مَلَكٍ عَلَى سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ**». (٧٠,٠٠٠ x ٧٠,٠٠٠ = ٤ مليار وتسعمائة مليون).

(٢) قال شيخُنا الإمامُ الهرريُّ رحمه الله: "يُروَى في حديثٍ ضعيفٍ أنّ جبريلَ فارقَ الرّسولَ ﷺ عِندَ سِدرةِ المُنتهَى، ثُمّ تابعَ ﷺ حتّى وصَل إلى مكانٍ يَسمَعُ فيه صَرِيفَ الأقلامِ. ذكَرُوا أنّ جِبريلَ لا يَتجاوَزُ سِدرةَ المُنتهَى، ومعَ ذلك هو رَئِيسُ كُلِّ الملائِكةِ ويَقرَأُ في اللَّوحِ المحفُوظِ ويرَى العَرشَ" اهـ.

ضَبَابَةٌ[١] فَخَرَرْتُ سَاجِدًا[٢]، فَقِيلَ لِي[٣]: إِنِّي يَوْمَ خَلَقْتُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فَرَضْتُ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَّتِكَ خَمْسِينَ صَلَاةً فَقُمْ بِهَا[٤] أَنْتَ وَأُمَّتُكَ، فَرَجَعْتُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ فَلَمْ يَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ، ثُمَّ أَتَيْتُ عَلَى مُوسَى فَقَالَ: كَمْ فَرَضَ اللهُ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَّتِكَ[٥]؟ قُلْتُ: خَمْسِينَ صَلَاةً، قَالَ: فَإِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَقُومَ بِهَا أَنْتَ وَلَا أُمَّتُكَ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ[٦] فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي فَخَفَّفَ عَنِّي عَشْرًا، ثُمَّ أَتَيْتُ مُوسَى فَأَمَرَنِي بِالرُّجُوعِ[٧] فَرَجَعْتُ

---

(١) أي غطّتْنِي سَحابةٌ.

(٢) أي شُكرًا لله وتواضعًا له عزّ وجلّ.

(٣) أي أوحَى اللهُ إلى نَبِيّه ﷺ بذلك، أو أسمَعَهُ اللهُ كلامَه الذّاتِيَّ الّذي ليسَ حرفًا ولا صوتًا ولا لُغةً ولا يُشبِهُ كلامُ المخلوقِينَ ففَهِمَ مِنه ﷺ ذلكَ.

(٤) أي أدِّها.

(٥) أي مِن الصّلاة.

(٦) أي ارجِعْ إلى المكانِ الّذي تُناجِي فيه رَبَّك حيثُ كان يُوحَى إليكَ بأمرِ الصلاة، واللهُ تعالَى لا يتحيَّزُ في مَكانٍ ولا في كُلّ الأماكِنِ، بل هو تعالَى موجودٌ أزلًا وأبدًا بلا مكانٍ.

(٧) أي إلى المكانِ الّذي أُناجِي فيه رَبِّي لأسألَه التّخفِيفَ.

فَخَفَّفَ عَنِّي عَشْرًا، ثُمَّ[١] رُدَّتْ إِلَى خَمْسِ صَلَوَاتٍ، قَالَ[٢]: فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ فَإِنَّهُ فَرَضَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ صَلَاتَيْنِ فَمَا قَامُوا بِهِمَا[٣]، فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فَسَأَلْتُهُ التَّخْفِيفَ فَقَالَ[٤]: إِنِّي يَوْمَ خَلَقْتُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فَرَضْتُ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَّتِكَ خَمْسِينَ صَلَاةً[٥] فَخَمْسٌ بِخَمْسِينَ[٦] فَقُمْ بِهَا أَنْتَ وَأُمَّتُكَ، فَعَرَفْتُ أَنَّهَا مِنَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى صِرَّى[٧]، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى

(١) أي بَعدَ أنْ سألَ رسولُ الله ﷺ رَبَّه عزّ وجلّ التّخفِيفَ عِدّة مرّاتٍ.

(٢) أي موسَى ﷺ.

(٣) أي أكثَرُهم، لكنّه كان فيهم صالِحُون أيضًا. والتّقصير في أداءِ الصّلاتَين كان مِن بَنِي إسرائيل فيَتوجَّه اللّومُ على مَن قَصَّر مِنهُم في أداءِ ما أوجبَ اللهُ، أمّا اللهُ تعالَى فلا يُعترَض عليه ولا يُسألُ عمّا يفعَلُ، فهو تعالَى يَفعَلُ ما يَشاءُ ويفرِضُ على عِبادِه ما يَشاءُ مِن صلاةٍ وزكاةٍ وغيرِهما، فإنْ هُم أطاعُوا انتفَعُوا في الدُّنيا والآخِرة، وإنْ عصَوا فقَد خَسِرُوا وكان مَلُومِينَ وأمْرُهم إلى اللهِ.

(٤) أي أوحَى اللهُ إلى نَبِيّه ﷺ بذلك، أو أسمَعَهُ اللهُ كلامَه الذّاتِيَّ الّذي ليسَ حرفًا ولا صوتًا ولا لُغةً ولا يُشبِهُ كلامُ المخلوقِينَ ففَهِمَ مِنه ﷺ ذلكَ.

(٥) أي فرضَ علَيهِم أوّلًا خمسِينَ صلاةً ثُمّ خفَّفَها فجعَلَها خمسًا.

(٦) أي يُثابُون بالخَمسِ ثوابَ خمسِينَ.

(٧) أي واجِبٌ حتمٌ، يُقال: "فلانٌ صِرّيُّ العَزمِ" أي ثابِتُه.

عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: ارْجِعْ، فَعَرَفْتُ أَنَّهَا مِنَ اللهِ صِرًّى - أَيْ حَتْمٌ - **فَلَمْ أَرْجِعْ**».

٣٠) وقالَ أبُو عَبدِ الرَّحمنِ: أَخْبَرَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا هِشَامٌ الدَّسْتُوَائِيُّ حَدَّثَنَا قَتَادَةُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**بَيْنَا**[1] **أَنَا عِنْدَ الْبَيْتِ**[2] **بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ**[3] **إِذْ قِيلَ**[4]: **أَحَدُ الثَّلَاثَةِ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ**[5]، **فَأُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَلْآنَ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، فَشَقَّ مِنَ النَّحْرِ**

---

(١) بِدُون مِيمٍ وهي بمعنَى بينَما.

(٢) أي عِندَ الكعبة، وقد سبَق في روايةِ الحديثِ الأوّلِ «**بَيْنَمَا أَنَا فِي الحَطِيمِ** - وَرُبَّمَا قَالَ: **فِي الحِجْرِ**» وشرَحناهُ في موضِعه.

(٣) في روايةٍ: «**بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ**»، وفي كُلّ الأحوالِ لا ينامُ قلبُه الشّريفُ ﷺ. قال القاضي عِياضٌ: "قَد يَحتجُّ بِه مَن يجعَلُها رُؤيا نَومٍ، ولا حُجّةَ فِيه إذْ قد يَكُون ذلكَ حالةَ أوّلِ وُصولِ الملَكِ إليه، وليسَ في الحدِيث ما يَدلُّ على كونِه نائمًا في القِصّة كُلِّها" اهـ.

(٤) أي قالَ أحدُ الملائكةِ الكِرامِ الّذين أتَوا النَّبِيّ ﷺ.

(٥) أي هذا رسولُ الله محمّدٌ المتوسِّطُ بينَ الرّجُلَين، كما يَدلُّ عليه روايةُ البخاريّ في الحديثِ الخامِس مِن هذا الكتابِ: «فَقَالَ أَوَّلُهُمْ: أَيُّهُمْ هُوَ؟ فَقَالَ: أَوْسَطُهُمْ هُوَ خَيْرُهُمْ».

إِلَى مَرَاقِّ الْبَطْنِ[١]، فَغَسَلَ الْقَلْبَ بِمَاءِ زَمْزَمَ ثُمَّ مُلِئَ حِكْمَةً وَإِيمَانًا[٢]» ثُمَّ سَاقَ الحَدِيثَ قَرِيبًا مِن حَدِيثِ مُسْلِمٍ.

﴿ ومِن مُوطَّإِ مالِكٍ ﴾

٣١) قالَ أبُو عَبدِ اللهِ: حَدَّثَنِي عَنْ مَالِكٍ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ أَنَّهُ قَالَ: أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَرَأَى عِفْرِيتًا[٣] مِنَ الْجِنِّ يَطْلُبُهُ بِشُعْلَةٍ مِنْ نَارٍ[٤]، كُلَّمَا الْتَفَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَآهُ، فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: «أَفَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ تَقُولُهُنَّ إِذَا قُلْتَهُنَّ طَفِئَتْ شُعْلَتُهُ وَخَرَّ لِفِيهِ[٥]؟»، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بَلَى»، فَقَالَ جِبْرِيلُ فَقُلْ: «أَعُوذُ بِوَجْهِ اللَّهِ[٦]

---

(١) بتشديد القافِ وهو ما سَفَلَ مِن البَطنِ ورَقَّ مِن جِلدِه.

(٢) سبَق معناهُ في الحديثِ الأوّل.

(٣) أي شيطانًا خبيثًا مُبالِغًا في التمرُّد.

(٤) أي يتَتبَّعُه بِها، والشُّعلةُ ما اتُّخِذَت فيه النّارُ والْتَهَبَتْ فيه.

(٥) أي سقَطَ على فَمِه.

(٦) أي بذاتِ اللهِ، فإنّ الوَجهَ إذا أُضِيفَ إلى اللهِ تعالَى فقِيلَ "وَجهُ اللهِ" لا يُرادُ بذلكَ العُضوُ المعروفُ مِن الإنسان، حاشا للهِ وتنزَّه اللهُ عن مُشابهةِ المخلوقات، فاللهُ ليسَ جسمًا ولا يُشبِهُ الأجسامَ كما أنّه لا يُشبِهُ شيئًا مِن المخلوقاتِ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾. =

= فإذا قِيلَ: "وَجْهُ الله" فقَد يُراد به ذاتُ اللهِ الّذي لا يُشبهُ الذّوات ومِن ذلكَ قولُه تعالَى: ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ﴾ أي اللهُ موجودٌ أزلًا وأبدًا لا يَفنَى، وقَد يُراد بالوَجه ثَوابُ الله ورِضاهُ ومِن ذلكَ قولُه تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ ٱللَّهِ﴾، وقَد يُراد به القِبلةُ ومِنه قولُه تعالَى: ﴿فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِ﴾ أي قِبلةُ اللهِ أي الّتي وضَعها اللهُ لَكُم، فقد رُخِّص للعِباد في صَلاةِ النَّفْلِ في السَّفَر التوجُّه إلى الجِهة التي يَذهَبُون إليها، وهذا لراكِب الدابّةِ، ولا يُرادُ بالوَجه إذا أضِيفَ إلى اللهِ في مِثل هذا الجارحةُ أي العُضوُ، بل حُكمُ مَن يَعتقِدُ الجارحةَ للهِ التّكفِيرُ، لأنّه لو كانَ له عضوٌ لجَازَ علَيه الفَناء، تنزَّهَ اللهُ عن ذلكَ.

الْكَرِيمِ[١]، وَبِكَلِمَاتِ اللَّهِ[٢] التَّامَّاتِ[٣] اللَّاتِي لَا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ

---

(١) يعني اللهَ المتّصِفَ بعَظَمةِ القَدْرِ والسُّلْطان.

(٢) أي أتحصَّنُ بكَلامِ الله تعالَى، وكلامُ الله تعالَى يُطلَقُ ويُرادُ بهِ صِفَتِهُ الذاتيّة الأزليّة الأبديّة، كما يُراد به القرءانُ الّذي هو عبارةٌ عن كلامِ الله الذّاتيّ. فإذا أُريد به الصِّفةُ الذّاتيّة فهو ليس حرفًا ولا صوتًا ولا لغةً ولا يُشبِهُ كلام المخلوقاتِ، وقد يجيءُ بلَفظ الجمعِ للتّعظيم "كلِمات الله" وليس هو للدّلالةِ على تعدُّدِ كلامِ الله، فكلامُ اللهِ الأزليُّ واحِدٌ لا يَتعدَّد ولا يَتبعَّض، بل هو جمعٌ للتّعظيم، قال عزّ وجلّ: ﴿مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾. وأمّا القُرءانُ أي الألفاظُ المنزّلةُ الّتي هي عبارةٌ عن كلامِ الله فهي حروفٌ وكلماتٌ مُحدَثةٌ مخلوقةٌ لَها بدايةٍ ونهايةٌ.

(٣) إنْ أُريد بكلامِ الله صِفتَهُ فالتامّ معناهُ الكامِلُ لأنّه صِفاتِ اللهِ كامِلةٌ لا نقصَ فيها، وإنْ أُريد بكلامِ الله الألفاظُ المنزَّلةُ كالقرءانِ ووصفُها بالتّامّات معناه أنّه لا يدخُلها نقصٌ، فليسَتْ هي مِن تأليفِ مخلوقٍ، وقيل: التّامّاتُ هنا النّافعةُ. أمّا ما جاء في قولِه تعالَى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ فليسَ معناهُ أنّ كلامَ اللهِ الذّاتيَّ الّذي هو صِفَتُه كان ناقِصًا ثُمّ تَمَّ، حاشاه، بل معناهُ أنّ الله أخبرَنا بأنّه حَكَم وقضَى أزلًا وقَدَّر أنْ يكونَ أكثَرُ النّاسِ والجِنّ في الآخِرة في جهنَّم، وحُكمهُ تامٌّ أي لا يُنقَضُ ولا يَتخلّفُ مُرادُه.

وَلَا فَاجِرٌ[١]، مِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ[٢]، وَشَرِّ مَا يَعْرُجُ فِيهَا[٣]، وَشَرِّ مَا ذَرَأَ فِي الْأَرْضِ[٤]، وَشَرِّ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا[١]، وَمِنْ فِتَنِ اللَّيْلِ

---

(١) فيه للعُلماء تفسيراتٌ: فقال بعضُهم: معناهُ أنّ البَرَّ والفاجِرَ لا يَتجاوَزُ حالُهما ما قضَى اللهُ لَهُما، فأمّا البَرُّ أي الطّائعُ فله الثّوابُ الجزيلُ، وأمّا الفاجِرُ أي العاصي والكافِرُ فلِكُلٍّ عذابُه على حسَبِ حالِه. وقال بعضُهم: معنَى «**لَا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ**» لا يَزِيدُ أحَدٌ في التّمامِ على كَلِماتِ القرءانِ أي اللَّفظِ المنزَّلِ ولا يَستدرِكُ علَيها، فإنّ القرءانَ أبلَغُ كلامٍ عربِيٍّ ولا يَدخُلُه عَيبٌ، قال الله تعالَى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا﴾، وقال أيضًا: ﴿قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ﴾.

(٢) أي مِن العذابِ كالصّواعِق. وقال شيخُنا الهرريُّ رحمه اللهُ: "هذا يَدخُل فيه الفَضاءُ الّذي دُونَ السّماواتِ، أي أستعِيذُ مِن شَرِّ الجِنّ الّذِين في الفَضاء، ويَجوزُ أنْ يَكُون المرادُ ما تُؤمَرُ به الملائكةُ مِن إيقاعِ الهلاكِ بِبَعضِ المخلُوقِين" اهـ.

(٣) قال شيخُنا الهرريُّ رحمه اللهُ: "أي ما يَصعَدُ به الملائكةُ مِن سُوءٍ أي مِن أعمالِ الشَّرّ الّتي يَرفَعُونَها إلى سِجِلٍّ تُسَجَّل فيه في السّماءِ" اهـ. وقال بعضُ العُلماء: سَمّاها شَرًّا باعتبار أنّ الأعمالَ السّيِّئةَ شَرٌّ بنَفْسِها ولأنّها تَجلِبُ الوَبالَ على العاصِي مُرتكِبِها.

(٤) أي ما خَلَق على ظَهرِ الأرضِ.

وَالنَّهَارِ[٢]، وَمِنْ طَوَارِقِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ[٣]، إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ[٤] يَا رَحْمَنُ».

﴾ ومِن صحيح ابنِ حِبّان ﴿

٣٢) قالَ أبُو حاتِمٍ: أَخْبَرَنَا أَبُو يَعْلَى حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْمُتَوَكِّلِ الْمُقْرِئُ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ وَاضِحٍ حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ جُنَادَةَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَمَّا كَانَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي انْتَهَيْتُ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَخَرَقَ جِبْرِيلُ الصَّخْرَةَ بِإِصْبَعِهِ**[٥]

---

(١) أي مِمّا في بَطنِها مِن الهوَامّ ونَحوِها مِن المُؤْذِياتِ.

(٢) يَحتمِلُ أنْ يُراد بِه الّتي تُصِيبُ في اللّيلِ والنّهارِ بمعنَى الواقِعةِ فِيهما، أو أنْ يُرادَ الفِتَنُ الّتي يَستعِينُ أهلُها علَيها باللّيلِ فيَستتِرُون بِه ويَتوصَّلُون فيه إلَيها وكذلك النّهارُ.

(٣) أي حوادِثِه الّتي تأتي ليلًا ونَهارًا.

(٤) الطَّرْقُ الإتيانِ باللّيلِ، وقَد يُذكَر النّهارُ معَه تبَعا، ومعناهُ أستجيرُ باللهِ مِن كُلّ ءاتٍ في اللّيلِ إلّا ءاتيًا فِيه بِخَيرٍ.

(٥) أي ليَربِطَ بها البراقَ.

وَشَدَّ بِهَا الْبُرَاقَ[١]».

٣٣) وقالَ أبُو حاتِمٍ: أَخْبَرَنَا الْحَسَنُ بْنُ سُفْيَانَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمِنْهَالِ الضَّرِيرُ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ حَدَّثَنَا هِشَامٌ الدَّسْتُوَائِيُّ حَدَّثَنَا الْمُغِيرَةُ خَتَنُ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ عَنْ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي رِجَالًا تُقْرَضُ[٢] شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِضَ مِنْ نَارٍ[٣]، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ فَقَالَ: الْخُطَبَاءُ[٤] مِنْ أُمَّتِكَ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَيَنْسَوْنَ**

---

(١) يَتحمِلُ أن تكونَ الصّخرةُ في الموضِع الّذي عُرِج منه بالنّبيّ ﷺ. وقد حكَى بعضُ النّاس عن الصّخرةِ الّتي عُرِج بالنّبيّ ﷺ مِن ناحِيتِها أكاذيبُ لا تَصحُّ، مِنها قولهم: إنّها تتحوَّلُ مَرجانةً بَيضاءَ، وأنّ مِياه الأرض كُلِّها تَخرُج مِن تَحتِها، وأنّها مُعلَّقةٌ في الهواءِ مِن كُلِّ الجِهاتِ، وأنّ علَيها مَوضِعَ قدَمِ النّبِيّ محمّدٍ محفورًا، وأنّه لَمّا عُرِجَ بالنّبِيّ إلى السّماءِ مِن ناحِيتَها ارْتفعَتْ لاحقةً به فأشارَ لها جِبريلُ أنِ اثْبُتِي، وغيرُ ذلكَ مِن الأباطِيل والحكاياتِ الّتي لا أصلَ لها مِمّا يَتداولُه النّاس.

(٢) أي تُقطَعُ.

(٣) أي بآلاتِ قَطعٍ خُلِقَتْ مِن نارٍ.

(٤) أي فسَقَةُ الوُعّظاءِ.

أَنْفُسَهُمْ(١) **وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا يَعْقِلُونَ**(٢)».

٣٤) وقالَ أبُو حاتِمٍ: أَخْبَرَنَا جعْفَرُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ صُلَيْحٍ بِوَاسِطَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ بَيَانَ السُّكَّرِيُّ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ أَخْبَرَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ مَرَّ بِرِيحٍ طَيْبَةٍ فَقَالَ: «**يَا جِبْرِيلُ مَا هَذِهِ الرِّيحُ؟**» قَالَ: هَذِهِ رِيحُ مَاشِطَةِ بِنْتِ فِرْعَوْنَ وَأَوْلَادِهَا، بَيْنَمَا هِيَ تَمْشُطُ بِنْتَ فِرْعَوْنَ إِذْ سَقَطَ الْمِدْرَى(٣) مِنْ يَدَهَا فَقَالَتْ: بِسْمِ اللَّهِ، فَقَالَتْ بِنْتُ فِرْعَوْنَ: أَبِي، قَالَتْ: بَلْ رَبِّي

---

(١) أي يأمُرونَ بالواجِب ويترُكون أداءَه، وينهَون عن المُنكَر ويَفعلُونه. رَوَى الشّيخان مِن حديثِ أُسامةَ بن زيدٍ رضي الله عنه أنّه سَمِعَ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**يُجاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ القِيامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ، فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ: أَيْ فُلَانُ مَا شَأْنُكَ؟ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ المُنْكَرِ؟ قَالَ: كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ المُنْكَرِ وَآتِيهِ**».

(٢) أي أفلا يَعقِلُون سُوءَ ما يَصنَعُون.

(٣) هو شيءٌ يُعمَلُ مِن حَدِيدٍ أو خشَبٍ على شَكلِ سِنٍّ من أسنانِ المِشطِ وأطوَل منه يُسَرَّحُ بِه الشعَر المُتلبِّدُ، قاله ابن الأثير.

وَرَبُّكِ اللَّهُ، قَالَتْ: وَإِنَّ لَكَ رَبًّا غَيْرَ أَبِي؟ قَالَتْ: نَعَمِ اللَّهُ[١]، قَالَتْ: فَأُخْبِرُ بِذَلِكَ أَبِي، قَالَتْ: نَعَمْ، فَأَخْبَرَتْهُ فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا فَقَالَ: أَلَكِ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَتْ: نَعَمْ رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ، فَأَمَرَ بِنُقْرَةٍ[٢] مِنْ نُحَاسٍ فَأُحْمِيَتْ، فَقَالَتْ لَهُ: إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَجَعَلَ يُلْقِي وَلَدَهَا وَاحِدًا وَاحِدًا حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى وَلَدٍ لَهَا رَضِيعٍ فَقَالَ: يَا أُمَّتَاهُ اثْبُتِي فَإِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ».

٣٥) وقالَ أَبُو حاتِمٍ: أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا الْقَوَارِيرِيُّ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ الْقَطَّانُ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ حَدَّثَنَا عَاصِمٌ عَنْ زِرٍّ عَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**رَأَيْتُ جِبْرِيلَ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى وَعَلَيْهِ سِتُّمائَةِ جَنَاحٍ يُنْثَرُ مِنْ رِيشِهِ تَهَاوِيلُ الدُّرِّ وَالْيَاقُوتِ**[٣]».

---

(١) أي رَبِّي وخالِقِي هو اللهُ، وأمّا أبوكِ فبشَرٌ.

(٢) قِدْرٌ يُسخَّنُ فيها الماءُ وغيرُه.

(٣) أي الأشياءُ المُختلِفةُ الألوانُ على شَكلِ الدُرّ والياقُوت تبهَرُ العُيونَ.

٣٦) وقالَ أبُو حاتِمٍ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحِ بْنِ ذَرِيحٍ بِعُكْبَرَا[١] حَدَّثَنَا مَسْرُوقُ بْنُ الْمَرْزُبَانِ حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي زَائِدَةَ حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾[٢] [النجم: ١١]، قَالَ: «رَأَى رَسُولُ اللهِ ﷺ جِبْرِيلَ[٣] فِي حُلَّةٍ مِنْ يَاقُوتٍ قَدْ مَلَأَ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ[٤]».

---

(١) بلدةٌ على ضِفاف دِجلةَ بَين بَغدادَ وسامَرّاء.

(٢) أي صدَق الفُؤادُ فِيما رأى، لأنّ قلبَه ﷺ يَعِي ما يَرى ولا يَتوهَّم خِلافَ ما يَراهُ قَلبُه، والّذي هو مَروِيٌّ عن ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه هنا في هذا الحديثِ مِن تفسيرِ الآيةِ خِلافُ ما عليه ابنُ عبّاسٍ وجمعٌ مِن التّابعِين والمفسِّرين في تفسيرِها، فقد فسَّرَها ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما وغيرُه فيما نقلَه عنه مجاهدٌ وعِكرِمةُ قال: "رأى ربَّه عزّ وجلّ بفؤادِه" اهـ. وقد سبَق الكلامُ على مذاهِب العلماء في ذلكَ عندَ قولِه: «ورَآهُ مُحَمَّدٌ مَرَّتَيْنِ» في الحديث (٢٦).

(٣) أي على هيئتِه الأصليّة ذاتِ الأجنِحة.

(٤) أي سَدَّ الأُفقَ مِن عِظَمِ خِلْقَتِه عليه السّلامُ.

٣٧) وقَالَ أَبُو حَاتِمٍ: «قَدْ أَمَرَ اللهُ تَعَالَى جِبْرِيلَ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ أَنْ يُعَلِّمَ مُحَمَّدًا ﷺ مَا يَجِبُ أَنْ يَعْلَمَهُ كَمَا قَالَ: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[١] [النجم: ٥-٧] يُرِيدُ بِهِ جِبْرِيلَ

(١) قولُه تعالَى: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ أي علَّم جبريلُ عليه السّلامُ النّبيَّ محمّدًا ﷺ ما شاءَ اللهُ أنْ يُعلِّمَه، وقَد أعطَى اللهُ تعالَى جِبريلَ قُوّةً شَديدةً حتّى إنّه اقتَلَع قُرَى القومِ الّذين كفَرُوا بلُوطٍ عليه السّلامُ بريشةٍ مِن أجنِحَتِه وقلَبَها ثُمّ دَكَّها في الأرضِ، وصاحَ بقَومِ ثَمُود صيحةً تقطَّعَتْ مِنها قُلوبهم في صُدورِهم. وفي الآية دليلٌ على أهمّيّة تلَقِّي العِلم مِن العُلماءِ الثِّقاتِ.

وقولُه: ﴿ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ أي جبريلُ عليه السّلامُ ملَكٌ ذُو قُوّةٍ وشِدّةٍ شَدِيدةٍ أو معناهُ ذُو مَنظَرٍ حسَنٍ وخِلقةٍ عظِيمةٍ، وقَد ظهَرَ جبريلُ عليه السّلامُ على هيئتِه الأصليّة للنّبيّ ﷺ فاستوَى جِبريلُ أي ظهَرَ على تلكَ الهيئة قائِمًا في أفُقِ الشّمسِ أي عِندَ مَطلَعِها سادًّا بأجنِحَتِه مِن المَشرِق إلى المَغرِب، وكانتِ تِلكَ المرّةَ الأُولَى الّتي يراهُ فيها رسولُ الله ﷺ على تلكَ الهيئة، فغُشِيَ على رسولِ الله ﷺ مِن عِظَمِ ما رأى مع أنّه ﷺ أُوتِيَ قُوّةً في فؤادِه تَفوقُ غيرَه. ثُمّ رءاهُ رسولُ الله ﷺ مرّةً ثانيةً على هيئتِه الأصليّة وهو عِندَ سِدرةِ المُنتهَى ليلةَ المِعراجِ فثبَتَ ولَم يُغشَ عليه تلك المرّةَ، فدَنا جبريلُ مِنه ﷺ حتّى صارَ على مسافةٍ قريبةٍ منه فكان قَدْرَ قوسَين أو أدنَى مِن ذلك.

﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ [النجم: ٨] يُرِيدُ بِهِ جِبْرِيلَ ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم: ٩] يُرِيدُ بِهِ جِبْرِيلَ ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ١٠] بِجِبْرِيلَ ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [النجم: ١١] يُرِيدُ بِهِ رَبَّهُ بِقَلْبِهِ(١) فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ الشَّرِيفِ(٢)، وَرَأَى جِبْرِيلَ فِي حُلَّةٍ مِنْ يَاقُوتٍ قَدْ مَلَأَ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ عَلَى مَا فِي خَبَرِ ابْنِ مَسْعُودٍ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ».

٣٨) وقَالَ أَبُو حَاتِمٍ: «شُقَّ صَدْرُ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ صَبِيٌّ يَلْعَبُ مَعَ الصِّبْيَانِ(٣) وَأُخْرِجَ مِنْهُ الْعَلَقَةُ(٤)، وَلَمَّا أَرَادَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا(٥)

---

(١) أي رؤيته رَبَّه بفؤادِه.

(٢) أي كان محمّدٌ ﷺ في ذلكَ الموضِع، أمّا اللهُ تعالَى فموجودٌ أزلًا وأبدًا بلا مكانٍ، تنزَّه اللهُ عن مُشابَهةِ المخلوقِينَ.

(٣) أي لهوًا مُفيدًا للبدَنِ.

(٤) هي قِطعةُ دَمٍّ غليظةٌ.

(٥) أي عَلا شأنُه وتنزَّه وتقدَّس عن أنْ يُشابِهَ المخلوقاتِ، ومعنَى اسمِ اللهِ العَلِيِّ كما قال مُفتي بيروت مصطفَى نَجا (ت ١٣٥١هـ) ما نصُّه: "ومعنَى العلِيِّ المُتعالِي في جَلالِه وكِبريائه إلى غَيرِ غايةٍ ولا نهايةٍ، والمرادُ به علُوّ القَدْرِ والمَنزِلة لا علُوّ المَكانِ لأنّه تعالى مُنَزَّه عن التحَيُّز والجِهة" اهـ.

الْإِسْرَاءَ بِهِ[١] أَمَرَ جِبْرِيلَ بِشَقِّ صَدْرِهِ ثَانِيًا وَأَخْرَجَ قَلْبَهُ فَغَسَلَهُ ثُمَّ أَعَادَهُ مَكَانَهُ مَرَّتَيْنِ فِي مَوْضِعَيْنِ[٢]».

ومِن مُسنَد أحمد

٣٩) قالَ أبُو عَبدِ اللهِ: حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ وَسَمِعْتُهُ أَنَا مِنْهُ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ قَابُوسَ عَنْ أَبِيهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِنَبِيِّ ﷺ دَخَلَ الْجَنَّةَ، فَسَمِعَ مِنْ جَانِبِهَا وَجْسًا[٣]، قَالَ: «**يَا جِبْرِيلُ مَا هَذَا؟**»، قَالَ: هَذَا بِلالٌ الْمُؤَذِّنُ[٤]»، فَقَالَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ حِينَ جَاءَ إِلَى

(١) أي قضَى الله تعالَى أنْ يكونَ الإسراءُ في هذا الوقتِ المعلوم، وليسَ معناهُ أنّ مشيئةَ الله تعالَى متعلِّقةٌ بهذا الوقتِ وأنّه الآنَ يشاءُ ما لَم يَشأْ أزلًا، حاشاه، لأنّ اللهَ تعالَى يَستحِيلُ عليه التَغيُّر في صِفةٍ مِن صفاتِه كما أنّه يستحيلُ عليه أنْ يتقيَّد ذاتُه أو صِفاتُه بالزّمانِ، فهو تعالَى موجودٌ أزلًا وأبدًا بلا كَيفٍ ولا مكانٍ ولا يَجرِي عليه زَمانٌ، وصفاتُه تعالَى كُلُّها أزليّةٌ أبديّةٌ لا يَتجدَّدُ له وصفٌ لَم يَكُن له ولا تزولُ عنه صِفةٌ واجبةٌ له، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾.

(٢) أي كان الشَقُّ والغَسلُ في وَقتَين مُختلِفَين ومكانَين متفاوِتَين.

(٣) أي صوتًا خَفِيًّا.

(٤) أي يكونُ مِن أهلِ الجنّةِ.

النَّاسِ: «**قَدْ أَفْلَحَ بِلَالٌ**[١]، **رَأَيْتُ لَهُ كَذَا وَكَذَا**[٢]». قَالَ[٣]: فَلَقِيَهُ مُوسَى ﷺ فَرَحَّبَ بِهِ وَقَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الْأُمِّيِّ، فَقَالَ: وَهُوَ رَجُلٌ آدَمُ طَوِيلٌ سَبْطٌ شَعَرُهُ[٤] مَعَ أُذُنَيْهِ أَوْ فَوْقَهُمَا، فَقَالَ: «**مَنْ هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟**»، قَالَ: هَذَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ. قَالَ: فَمَضَى فَلَقِيَهُ عِيسَى فَرَحَّبَ بِهِ وَقَالَ: «**مَنْ هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟**»، قَالَ: هَذَا عِيسَى. قَالَ: فَمَضَى فَلَقِيَهُ شَيْخٌ جَلِيلٌ[٥] مَهِيبٌ[٦] فَرَحَّبَ بِهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ، وَكُلُّهُمْ[٧] يُسَلِّمُ عَلَيْهِ، قَالَ: «**مَنْ هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟**»، قَالَ: هَذَا أَبُوكَ[٨]

---

(١) أي فازَ فوزًا عظِيمًا بنَيلِه الدّرجةَ العاليةَ في الجنّة.

(٢) أي مِمّا يكونُ لبِلالٍ في الجنّة رضي الله عنه.

(٣) أي ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهُما.

(٤) سبَقَ شرحُ ذلكَ في الحديثِ الثّالِث إلّا أنّ الرّواية هناك أنّ شعَرَ موسى ﷺ كان جَعْدًا وشعَرَ عيسى ﷺ كان سَبْطًا.

(٥) أي عظِيمُ القَدْر.

(٦) أي مَلِيحُ الصُّورة ذُو مَهابةٍ.

(٧) أي الأنبياءِ الّذين لَقِيَهُم صلَّى عليهِم وسلَّم أجمعِينَ.

(٨) أي أحدُ أجدادِك، فإنّ نسَبَ النّبِيّ محمّد ﷺ يرجع إلى إبراهيمَ ﷺ.

إِبْرَاهِيمُ، قَالَ: فَنَظَرَ فِي النَّارِ[١] فَإِذَا قَوْمٌ يَأْكُلُونَ الْجِيَفَ[٢]، قَالَ: «**مَنْ هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟**»، قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ[٣]. وَرَأَى رَجُلًا أَحْمَرَ أَزْرَقَ[٤] جَعْدًا[٥] شَعِثًا[٦] إِذَا رَأَيْتَهُ، قَالَ: «**مَنْ هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟**»، قَالَ: هَذَا عَاقِرُ النَّاقَةِ[٧]. قَالَ: فَلَمَّا دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَسْجِدَ الْأَقْصَى قَامَ يُصَلِّي، ثُمَّ الْتَفَتَ فَإِذَا النَّبِيُّونَ أَجْمَعُونَ يُصَلُّونَ مَعَهُ، فَلَمَّا انْصَرَفَ جِيءَ بِقَدَحَيْنِ أَحَدُهُمَا عَنِ الْيَمِينِ وَالْآخَرُ عَنِ الشِّمَالِ، فِي أَحَدِهِمَا لَبَنٌ وَفِي الْآخَرِ عَسَلٌ، فَأَخَذَ اللَّبَنَ

---

(١) اطَّلعَ فيها مِن مَكانٍ عالٍ حيثُ جعَلَ اللهُ تعالَى لنبيِّه ﷺ القُوّةَ على رؤيتِها معَ بُعدِ المَسافةِ.

(٢) أي جُثَثَ مَيْتاتٍ.

(٣) سبَقَ شرحُ ذلكَ في الحديثِ (١٩) مع تفصيلٍ في حُكمِ الغِيبةِ.

(٤) هو لونُ بشَرتِه.

(٥) أي جعدَ الشَّعَرِ على الصِّفةِ القبيحةِ.

(٦) أي منظَرُه قَبيحٌ لنُتْنِه.

(٧) هو قُدارُ بنُ سالِفٍ الكافِرُ الّذي أمرَ بعضَ الكفَرةِ مِن قومِ صالِحٍ عليه السّلامُ بأنْ يَقتُلوا النّاقةَ الّتي نهاهُم اللهُ تعالَى عنْ أنْ يمسُّوها بسُوءٍ، فباشَرَ قُدارُ بنُ سالِفٍ قَتْلَها بالسَّيفِ.

فَشَرِبَ مِنْهُ فَقَالَ[١] الَّذِي كَانَ مَعَهُ الْقَدَحُ: أَصَبْتَ الْفِطْرَةَ.

﴿ ومِن مُستَدرَك الحاكِم ﴾

٤٠) قالَ أبُو عَبدِ اللهِ: أَخْبَرَنِي مُكْرَمُ بْنُ أَحْمَدَ الْقَاضِي حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ ابْنُ الْهَيْثَمِ الْبَلَدِيُّ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ الصَّنْعَانِيُّ حَدَّثَنَا مَعْمَرُ ابْنُ رَاشِدٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: «لَمَّا أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى أَصْبَحَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ بِذَلِكَ، فَارْتَدَّ نَاسٌ مِمَّنْ كَانَ آمَنُوا بِهِ وَصَدَّقُوهُ وَسَعَوا بِذَلِكَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَقَالُوا: هَلْ لَكَ إِلَى صَاحِبِكَ يَزْعُمُ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ؟ قَالَ: «أَوَ قَالَ ذَلِكَ؟»، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: لَئِنْ كَانَ قَالَ ذَلِكَ لَقَدْ صَدَقَ، قَالُوا: أَوَ تُصَدِّقُهُ أَنَّهُ ذَهَبَ اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَجَاءَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ؟! قَالَ: «نَعَمْ، إِنِّي لَأُصَدِّقُهُ فِيمَا هُوَ أَبْعَدُ مِنْ ذَلِكَ، أُصَدِّقُهُ بِخَبَرِ السَّمَاءِ فِي غَدْوَةٍ أَوْ رَوْحَةٍ[٢]» فَلِذَلِكَ سُمِيَّ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقَ.

---

(١) أي المَلَكُ الكريمُ.

(٢) أي بأنّه عُرِجَ به إلى السّماواتِ وعادَ في اللّيلةِ نَفسِها في وقتٍ قصير. والغَدْوةُ بفَتح الغين في الأصلِ السَّيرُ أوّلَ النّهارِ، والرَّوْحةُ السّيرُ في أيِّ وقتٍ يقَعُ بَين الزّوالِ إلى ءاخِرِ النّهارِ.

٤١) وقالَ أبُو عَبدِ اللهِ: أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الْعَدْلُ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ ابْنُ عِمْرَانَ النَّسَوِيُّ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ زُهَيْرٍ حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ غَانِمٍ حَدَّثَنَا سَلَمَةُ بْنُ الْفَضْلِ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ رَوْحِ بْنِ الْقَاسِمِ عَنْ أَبِي هَارُونَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ وَهُوَ يَصِفُ يُوسُفَ[1] حِينَ رَآهُ فِي السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ قَالَ: «**رَأَيْتُ رَجُلًا صُورَتُهُ كَصُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا أَخُوكَ يُوسُفُ**[2]».

٤٢) وقالَ أبُو عَبدِ اللهِ: أَخْبَرَنَا أَبُو النَّضْرِ الْفَقِيهُ حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ الدَّارِمِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ صَالِحٍ حَدَّثَنِي اللَّيْثُ حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ يَزِيدَ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ أَخْبَرَنِي ابْنُ حَزْمٍ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ وَأَبَا حَبَّةَ الْأَنْصَارِيَّ أَخْبَرَاهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**عُرِجَ بِي حَتَّى**

(١) يعنِي نَبِيَّ اللهِ يوسُفَ ﷺ.

(٢) وهذا قَبل أنْ يُلقِي علَيه السّلامَ رسولُ الله ﷺ.

مَرَرْتُ بِمُسْتَوًى[١] أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيفَ الْأَقْلَامِ[٢]».

(١) أي بمَوضِعٍ عالٍ.

(٢) صَرِيفُ الأَقلامِ هو صَوتُ جرَيانِ الأقلامِ في الكِتابة، وهو هنا صَوتُ استِنْساخِ بَعضِ الملائكةِ بالأقلامِ مِن اللَّوحِ المَحفُوظِ ما أَذِن اللهُ لَهُم في نَسْخِه في صُحُفِهم مِن الأقضِيَةِ، فإنّ في اللَّوحِ المَحفُوظِ ذِكرَ كلِّ ما يَكُون في هذه الدُّنيا إلى نِهايَتِها، قال الله تعالَى: ﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾. أمّا الحياةُ الأُخرَوِيّةُ فمُمتَدّةٌ إلى غَيرِ نِهايةٍ فلا تَدخُل حوادِثُها في اللَّوحِ المحفُوظ، لأنّ المكتُوبَ في اللَّوحِ شيءٌ مُتَناهٍ، فلا يقَع في اللَّوحِ المُتناهِي المِساحَةِ ذِكرُ تَفاصِيل ما يقَعُ في الحياةِ الأُخرَوِيّةِ الّتي لا نِهايةَ لها.

﴾ خاتِمةٌ ﴿

الوجوب المؤكَّد في التحذِير من الأباطيل والافتراءات التي تُفترَى على دِيننا الحنِيف في قصّة المعراج

١ - يجب التحذير من قول الكفّار إنّ الله يسكن السماء أو إنّ الله جالس على العرش.

٢ - ويجب التحذير من قول الكفار إن الرسول ليلة المعراج وصل إلى مكان ينتهي إليه وجود الله.

٣ - ويجب التحذير من قول الكفار إنّ الرسول ليلة المعراج اقترب من الله بالمسافة والمكان حتى صار منه كالحاجب مِن الحاجب.

٤ - ويجب التحذير من قول الكفار إنّ الرسول في المعراج وصل إلى مكان فأزيح له الستارُ فدخل فاجتمع بربه خلف الستار.

٥ - ويجب التحذير من قول الكفار إن الرسول في المعراج وصل إلى مكان رأى الله يصلي فيه ويزيد هنا بعض الكفار فيقول "طوبى لك أيها المصلي فالله يصلي والنبي يصلي والملائكة يصلون فأنت في صف الله".

٦ - ويجب التحذير من قول الكفار إن الرسول في المعراج أزيح له السِتار فدخل وصار بينه وبين الله والملائكة حوار التحيات.

٧ - ويجب التحذير من قول الكفار إن الرسول ليلة المعراج اخترق آلافا من حجب النور والنار والهيبة ثم وصل إلى مكان خلف تلك الحجب فرأى الله تعالى.

٨ - ويجب التحذير من قول الكفار إن الرسول رأى الله في المعراج بصورة شاب أمرد.

٩ - ويجب التحذير من قول الكفار إن الرسول رأى الله في المعراج بهيئة نور عظيم حتى خاض النبي في ذلك النور الذي هو الله بزعمهم.

١٠ - ويجب التحذير من قول الكفار إن الرسول استوحش في المعراج فكلمه الله بصوت أبي بكر الصديق.

١١ - ويجب التحذير من قول لما وصل جبريل والرسول إلى ما بعد سدرة المنتهى قال جبريل "هنا يفارق الخليلُ خليلَه لو تقدَمتُ احترقتُ" فإنْ قاله على وجه الاستخفاف بسيدنا جبريل أو انتقاصًا بقدره العظيم أو أنه يحترق ويموت حقيقةً كفر، وأصل الخبر لم يَرِد في حديث

صحيح، أمّا مَن أوردَه من غير اعتقادٍ ولا فهم لهذه المعاني التي حذَّرنا منها فلا يكفر.

١٢ - ويجب التحذير من قول الكفار إن الرسول ﷺ دنا من الله حتى صار بينهما من المسافة قدر ذراعين أو أقل.

وكل ما سبق من هذه الأقوال فيه تكذيب للقرءان والسنة وللإجماع يقول الله تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾، وقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، وقال وقال تقدَّسَتْ أسماؤه: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾، وقال أبو جعفرٍ الطحاوي ناقلًا في ذلك الإجماع: "ومَن وصَف الله بمعنًى مِن معاني البشر فقد كفَر"، وقال الإمام الشافعي " المجسِّم كافِر" رواه السيوطي في «الأشباه والنظائر».

خاتِمة

إنّ خيرَ ما تُنْفَقُ فيه الأوقاتُ الاشتغالُ بطاعةِ الله عزَّ وجلّ، ومِن خَيرِها الاشتغالُ بعلوم الحديثِ النّبويّ الشّريفِ، ومِن خيرِ ما يُشتغَل بهِ فيه هو تَلقِّي الحديثِ روايةً عَن الثِّقاتِ الّذينَ تلَقَّوه عن أمثالِهم، أمّا المُطالَعةُ في الكُتب الحديثيّة وغيرِها مِن علوم الدِّين مِن غيرِ مُعلِّمٍ لِمَن لَم يَتأهَّل للمُطالعةِ وحدَه فهي السُّقوطُ في مَهْواةِ الضّلالِ بسبَبِ عدمِ أهليّة هذا المُطالِع، إذْ لا يُمَيِّزُ بينَ الصّوابِ والخَطإِ والمُصَحَّفِ والمُحَرَّف، فكَيف به إذا كان يَلْحَنُ في اللُّغة ولا يُمَيِّزُ المُحْكَم مِن المُتَشابِه، ناهِيكَ عَن أنّه قد يكون في هذِه الكُتب الّتي يُطالِعُها دَسٌّ وافتِراءٌ على الدِّين قد أودَعُه فيها بعضُ الزّنادِقةِ عَمْدًا، أو قد يَفهَمُ هذا المُطالِعُ مِمّا يَقرأُه أشياءَ على خلافِ الحَقّ فيعتَقِدُه ويؤدِّي بناءً على فهمِه السَّقِيمِ عِباداتٍ فاسِدةً أو يقَعُ في الكُفرِ والضَّلالِ، والعياذُ باللهِ.

ولقد قال الحافظُ الخَطِيبُ البغداديُّ نقلًا عن بعضِ المحدِّثين: "مَن طالَع الكُتُبَ لِنَفْسهِ بدُونِ مُعَلِّمٍ يُسمَّى صُحُفِيًّا ولا يُسَمَّى مُحَدِّثًا، ومَن قَرأَ القُرآنَ لِنَفْسه بِدُون مُعَلِّمٍ يُسَمَّى مُصْحَفِيًّا ولا يُسَمَّى قارِئًا" اهـ.

وتفَكَّرْ في قولِ الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ﴾ تلَقِّيًا عن غيرِهم، وفي قولِ الله تعالَى: ﴿عَلَّمَهُۥ﴾ أي علَّم محمَّدًا ﷺ جبريلُ ﴿شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ﴾، وكُنْ علَى ذُكرٍ للنّيّةِ الحسَنةِ في الاشتِغالِ بطاعةِ الله.

والحمدُ للهِ رَبِّ العالَمِينَ، وصلَّى اللهُ وسلَّم على رسولِهِ الأمِينِ، واللهُ تعالَى أعلَمُ.

الفهرست